

جامعة النّجاح الوطنيّة

كلية الدراسات العليا

العلاقةُ بين العباداتِ والأخلاقِ في القرآنِ الكريمِ

إعداد

عماد هاني عبد الكريم قونح

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح في نابلس، فلسطين.

2020م

العلاقةُ بين العباداتِ والأخلاقِ في القرآنِ الكريمِ

إعداد

عماد هاني عبد الكريم قوزح

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 16 / 9 / 2020م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

1. د. محسن سميح الخالدي / مشرفاً ورئيساً

.....

2. د. ناصر عبد الجواد / ممتحناً خارجياً

.....

3. د. منتصر نافذ أسمر / ممتحناً داخلياً

.....

الإهداء

إلى والديّ العزيزين اللذين قدّما لي ثمرة حياتهما، أطال الله في
عمرهما.

وإلى زوجتي الغالية على قلبي، التي شجعتني وكانت لي سندا
وعونا.

إلى الغرباء بدينهم القابضين على الجمر في زمن الفتنة.

إلى الأمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر.

إلى دعاة الإسلام في كل زمان ومكان، وإلى كل مسلم ومسلمة
يهتم بدينه ويعتز به.

إلى كل هؤلاء أقدم هذه الدراسة المتواضعة.

الشكر والتقدير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

أما وبعد:

فلا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر الخاص للدكتور محسن الخالدي؛ الذي لم يألُ جهداً في إهداء التوجيهات والنصائح لي، والتي استفدت منها كثيراً، حتى خرج بحثي على هذا النحو؛ فجزاه الله عني خير ما جزى معلماً عن تلميذه.

وكذلك الشكر موصول إلى الأستاذين الفاضلين: الدكتور: منتصر نافذ أسمر، والدكتور: ناصر عبد الجواد، اللذين تكرمًا بالموافقة لي مناقشة هذه الرسالة وإبداء ملاحظاتها الدقيقة، إسهاماً في تهذيب رسالتي من الهفوات والهتات، فجزاهما الله خيراً.

كما أتقدم بالشكر إلى جامعتي الموقرة (جامعة النجاح الوطنية) وخاصةً كلية الدراسات العليا، قسم أصول الدين، وجميع الأساتذة الفضلاء الذين تشرفت بالتلمذ على أيديهم، فجزاهم الله عزّ وجلّ خيراً.

والشكر موصول إلى والديّ العزيزين، وزوجتي، ثم إلى إخواني وأصدقائي، وكذلك أتقدم بالشكر لكل من قدم لي يد العون والمساعدة.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

العلاقةُ بين العباداتِ والأخلاقِ في القرآنِ الكريمِ

أقرُّ بأنَّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه
حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو بحث
علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the
researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other
degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	شكر وتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ي	الملخص
1	المقدمة
10	الفصل الأول: مفهوم العبادات والأخلاق وبيان مكانتها
11	المبحث الأول: تعريف مفاهيم الدراسة (العبادات والأخلاق)
11	المطلب الأول: العبادات في اللغة
13	المطلب الثاني: العبادات في الاصطلاح
14	المطلب الثالث: الأخلاق في اللغة
15	المطلب الرابع: الأخلاق في الاصطلاح
18	المبحث الثاني: بيان مكانة الأخلاق في الإسلام وفضلها وخصائصها
18	المطلب الأول: مكانة الأخلاق
23	المطلب الثاني: فضائل الأخلاق ومواضعها
29	المطلب الثالث: خصائص الأخلاق
35	الفصل الثاني: أثر الصلاة في الأخلاق
37	المبحث الأول: أثر الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر
37	المطلب الأول: الآية الواردة في نهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر
41	المطلب الثاني: الصلاة باب لكثير من الأخلاق
46	المبحث الثاني: أثر الصلاة في طمأنينة النفس وخضوع الجسد
46	المطلب الأول: الطمأنينة النفسية والروحية
48	المطلب الثاني: خضوع الجسد والجوارح والبعد عن المعاصي والنفاق
51	المبحث الثالث: أثر الصلاة في تروض النفس على الصبر
51	المطلب الأول: الصلاة تزيد النفس قوة
52	المطلب الثاني: اقتران الصلاة بالصبر في القرآن الكريم

55	المبحث الرابع: أثر الصلاة في تربية الفرد على التأدب مع الخالق جلّ في علاه
55	المطلب الأول: الصلاة تحقق العبودية
58	المطلب الثاني: الصلاة تنزيه وتمجيد لله تبارك وتعالى
61	المبحث الخامس: أثر صلاة الجماعة في أخلاق المجتمع
61	المطلب الأول: الصلاة تحافظ على النظام والالتزام
62	المطلب الثاني: الصلاة تربية اجتماعية
64	المطلب الثالث: في الصلاة توحيد للصف والكلمة
64	المطلب الرابع: أثر الجماعة والعبيد في الأخلاق
66	المطلب الخامس: الصلاة تعمق الأخوة والمحبة
67	المطلب السادس: في الصلاة مساواة ووحدة للصف
69	الفصل الثالث: أثر الأخلاق في الزكاة
73	المبحث الأول: أثر الزكاة في أخلاق الفرد
73	المطلب الأول: الزكاة تطهر النفس وتزكيها وتشرحها
76	المطلب الثاني: الزكاة تعلم الكرم والجود
77	المطلب الثالث: الزكاة تنزع الخوف من قلب المؤمن، وتزيد محبة الله سبحانه في قلبه
80	المطلب الرابع: النهي عن خلق المن والأذى، عند أداء الزكاة والصدقة
83	المبحث الثاني: أثر الزكاة في أخلاق المجتمع
83	المطلب الأول: الزكاة تعزز المحبة في المجتمع وتقويه
85	المطلب الثاني: الزكاة تطفئ ثورة الغضب في نفوس الفقراء، وتقضي على الجرائم والفقير
89	المطلب الثالث: الزكاة تمنع الفوضى
91	المطلب الرابع: الآثار المترتبة على تأدية الزكاة، والامتناع عنها
95	الفصل الرابع: أثر الصيام في الأخلاق
98	المبحث الأول: أثر الصيام على أخلاق الفرد
98	المطلب الأول: التقوى
100	المطلب الثاني: الصيام يكبح جماح الشهوة، ويكسو خلق العفة والتعفف

102	المطلب الثالث: الصيام تربية وتهذيب للنفس
103	المطلب الرابع: الصيام يكسو صاحبه خُلُق الصبر والحلم، والتأدب مع الباري جلّ جلاله
108	المبحث الثاني: أثر الصيام على أخلاق المجتمع
108	المطلب الأول: الصيام يحثّ على المحبة، ويهدّب المجتمع في سلوكه
110	المطلب الثاني: الصيام رحمة ورأفة بالفقراء والمساكين
111	المطلب الثالث: من أخلاق الصيام زكاة الفطر
112	المطلب الرابع: الصيام قوة واتحاد، وكفّ عن أموال الآخرين، وتعليم للنظام
114	المطلب الخامس: الصيام يعلم خُلُق المساواة
115	المطلب السادس: شهر الصيام يعلم الناس أخلاق النبي ﷺ
118	الفصل الخامس: أثر الحجّ في الأخلاق
121	المبحث الأول: أثر الحجّ على أخلاق الفرد
121	المطلب الأول: علاقة التقوى في الحجّ بالأخلاق
123	المطلب الثاني: الحجّ استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام بتزكية النفوس وتطهيرها
124	المطلب الثالث: علاقة الشعور الروحاني للحاجّ بالأخلاق
125	المطلب الرابع: الحجّ يعمل على مراجعة الحاجّ لنفسه، وتصويب مساريه الأخلاقي
127	المطلب الخامس: الحجّ يكسب المؤمن عقيدة التوحيد
129	المطلب السادس: الحجّ ينمي في النفس خُلُق الكرم والسخاء
131	المطلب السابع: الحجّ يعلم التحلي بخُلُق الصبر
132	المطلب الثامن: الحجّ تذلل وتواضع وشكر لله عز وجل
133	المبحث الثاني: أثر الحجّ على أخلاق المجتمع
133	المطلب الأول: الأخوة الإيمانية
134	المطلب الثاني: الحجّ اجتماع للمسلمين وإظهار لقوتهم
135	المطلب الثالث: الحجّ اعتصام بحبل الله جلّ في علاه
137	المطلب الرابع: المساواة
139	المطلب الخامس: الحجّ أمان للناس
142	الخاتمة

144	الفهارس
145	فهرس الآيات القرآنية
156	فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
158	قائمة المصادر والمراجع
B	Abstract

العلاقة بين العبادات والأخلاق في القرآن الكريم

إعداد

عماد هاني عبد الكريم قوزح

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

الملخص

اشتملت هذه الرسالة على موضوع العلاقة بين العبادات والأخلاق في القرآن الكريم، وهو موضوع ذو أهمية بالغة؛ لكونه يُمثّل ما يكون عليه المؤمن في حياته، وهي دراسة تُعنى بالأخلاق وإظهار علاقتها بالعبادات، فلأخلاق دور بارز مؤثر في حياة الفرد والمجتمع المسلم، ولقد اشتملت العبادات في مظهرها وجوهرها على التربية على الأخلاق والحث عليها.

وقد اعتمد الباحث في هذه الدراسة على جملة من المناهج البحثية كالمنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي والوصفي، وقسم الباحث الدراسة لمقدمة وخمسة فصول، وفهارس حسب البحث العلمي وأصوله.

ويتبين في هذه الدراسة مجموعة من الأهداف، ومعنى الأخلاق والعبادات في اللغة والاصطلاح، وبيان مكانتهما، وما ورد في فضلها من آيات كريمة، وأحاديث شريفة.

فتحدثت الدراسة عن أثر الصلاة على الأخلاق، وما احتوته من أخلاق تعود بالنفع على الفرد والمجتمع المسلم.

وبينت الدراسة العلاقة الوثيقة بين الزكاة والأخلاق، وأثر ذلك على الفرد والمجتمع المسلم، مع بيان أثر ذلك على نفس الفقراء والمساكين.

وكذلك بينت الدراسة علاقة آيات الصيام والحج بالأخلاق، فقد تمّ إبراز الأخلاق العظيمة الكامنة في الصيام والتي تروض النفس وتزكيها، بما يعود من نفع على المجتمع المسلم، وكذا بيان الحكمة من زكاة الفطر، وعلاقتها بالأخلاق.

وكذلك تم إبراز ما جاء في الحج من فضائل وخصائص، تعود بالنفع العميم على أخلاق الفرد والمجتمع المسلم؛ لما فيه من ترويض النفس وتزكيتها، وهي أيضا شعيرة وشعار للوحدة والاتحاد والمساواة بين أفراد المجتمع على اختلاف ألوانه وعروقه.

الخاتمة: وقد تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي تم التوصل إليها من خلال البحث، ومن أهم هذه النتائج: أنه ثمة علاقة وطيدة بين العبادات والأخلاق في القرآن الكريم، فجميع العبادات اعتنت بالأخلاق قولاً وفعلاً، وغير ذلك.

وأسأل الله تعالى أن يوفقني لما يحب ويرضى، إنه سميع قريب مجيب.

مقدمة

الحمد لله الذي رفع السماء ووضع الميزان، وأنزل الكتاب بالحق، والصلاة والسلام على النبيِّ العدنان، أرسله ربه رحمةً للعالمين، وأيده بالهدى والبيئات؛ ليقوم الناس بالقسط أجمعون، وبعد:

فقد جاء الإسلام العظيم هدايةً للناس إلى الطريق القويم المستقيم؛ ليحرر عقائدهم من الخرافات والعقائد الفاسدة والضلالات، ففرض لهم العبادات؛ ليعبد الناس ربهم بهداه، لا ليعبدوه بهوهم، فأرشدهم إلى الأخلاق الفاضلة القويمة الحميدة.

إن الإسلام كما هو ظاهر من صورته ظاهراً وباطناً، قائم على الأخلاق في كل وأحكامه وأوامره ونواهيه، وحدوده، وهذا جليّ في العبادات، فالعبادات فيها صلة مع الخالق تبارك وتعالى، ولها أثر بالغ في توحيدِه وتوجيه القلوب إليه.

وعند النظر بالنصوص الشرعية المتعلقة بالعبادات، يتبين أنها تحتوي على الأخلاق الحميدة وتأمّر بها وتنهى عما يخالفها.

وتأتي هذه الدراسة لتسهم -ولو يسيراً- في بيان الأخلاق المنبثقة عن العبادات، سائلاً المولى عز وجل أن يهدينا للحق بإذنه.

حدود الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لتبين العلاقة بين العبادات والأخلاق في القرآن الكريم، والعبادات كثيرة جداً، فكان محور الدراسة وتركيزها على العبادات المنصوص عليها ضمن أركان الإسلام، وهي: الصلاة والزكاة والصيام والحج.

الدراسات السابقة:

لا شك أن موضوع ارتباط العبادات بالأخلاق قد حظي بعناية الكثير من الباحثين والدارسين، ولكن جل ذلك جاء في ثنايا دراساتهم أو تم تناوله كموضوع جانبي، ولم أجد بحدود ما اطلعت عليه سوى دراستين تحدثتا عن هذا الموضوع بشكل عام في طياتهما.

ومن أهم الدراسات التي اطلعتُ عليها في هذا الميدان:

1. "منهج القرآن الكريم في تهذيب الأخلاق" للباحث: حسن عبد الوهاب محمد سعود⁽¹⁾.

وهي رسالة ماجستير، تحدث فيها الباحث الكريم عن الأخلاق باستفاضة، وفيها استقراء لمنهج القرآن في الأخلاق من خلال العقائد والعبادات والمعاملات والعقوبات والقصص... إلخ. وهذه الرسالة: تناولت بعضاً من موضوع الدراسة هذه.

2. "أثر العبادات في تقويم الأخلاق في بيان القرآن الكريم". للباحثة: مديحة محمد عثمان

شومر⁽²⁾.

وهي رسالة ماجستير، وحاولت جاهداً العثور على الأطروحة ولكن دون جدوى، وهي من عنوانها تتحدث عن الأخلاق في القرآن الكريم.

(1) سعود، حسن عبد الوهاب محمد، منهج القرآن الكريم في تهذيب الأخلاق، إشراف: عماد زهير عبد القادر حافظ، رسالة ماجستير قدمت في الجامعة الإسلامية -السعودية.

(2) شومر، مديحة محمد عثمان، أثر العبادات في تقويم الأخلاق في بيان القرآن الكريم، إشراف: الفرماوي والنجار وهاشم. رسالة ماجستير، القاهرة، مصر جامعة الأزهر، 2004م-1425هـ.

وثمة أطروحات تناولت موضوع الأخلاق بشكل عام، وهي كثيرة. ومنها:

1. "أصول الأخلاق في ضوء القرآن". للباحث: عبد الستار محمد نوير⁽¹⁾.

والذي يظهر من هذه الدراسة: أنها تناولت الأخلاق بشكل عام في السياق القرآني، وكيف اعتنى القرآن الكريم بالأخلاق.

2. "منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق". للباحث: عبد الرحمن داود جميل عبد الله⁽²⁾.

وهي رسالة ماجستير، تحدث فيها باحثها عن الأخلاق القرآنية، وكيف رسخت القصص القرآنية الأخلاق والفضائل من خلال قصص الأنبياء، وقصص الأقسام السابقة، فاقترنت على تناول جانب الأخلاق من خلال القصص القرآنية.

وأما الكتب التي تتصل بموضوع الدراسة فهي كثيرة جداً، منها:

3. "مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها". للخرائطي⁽³⁾.

ويعدُّ هذا الكتاب من أقدم الكتب التي تعرضت لموضوع الأخلاق، فلقد أُلّف في القرن الرابع الهجري، وبعد الاطلاع تبين أن الكتاب تعرض للأخلاق بشكل عام.

4. "دستور الأخلاق في القرآن" لدراز⁽⁴⁾.

ويعدُّ هذا الكتاب من الكتب القيمة التي تعرضت للأخلاق، وبعد الاطلاع تبين أن الكتاب تعرض للأخلاق بشكل عام، حيث يبرز مظهر الأخلاق في الإسلام والقرآن الكريم.

(1) لم أستطع العثور على مصدرها ومعلومات نشرها.

(2) عبد الله، عبد الرحمن داود جميل، منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق، إشراف الدكتور: حسين النقيب، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين. 2010م.

(3) الخرائطي، أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر السامري، (ت: 327هـ)، مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، دار الآفاق العربية، القاهرة، (ط 1)، 1419هـ-1999م.

(4) دراز، محمد بن عبد الله، (ت: 1377هـ)، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، (ط 10)، 1418هـ-1998م.

ما يميز هذه الدراسة:

تتميز هذه الدراسة في سعيها لإظهار العلاقة بين العبادات والأخلاق، ثم تحليلها ودراستها، ثم استنباط النتائج على ضوء ذلك.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة في عدة جوانب، منها:

1. تُبينُ الأخلاق التي تتضمنها العبادات.
2. معالجة القرآن الكريم للأخلاق السيئة.
3. صلة الموضوع بالواقع (في ميدان الاخلاق)، خاصةً ما تقتقر إليه أمتنا اليوم من تراجع كبير في الأخلاق.
4. بيان أثر العبادات في ترسيخ الأخلاق.
5. تتبع منهجية القرآن وأسلوبه في استثمار العبادات لترسيخ الأخلاق.

سبب اختيار الدراسة:

أما الأسباب التي دفعت لاختيار هذه الدراسة فأهمها:

- 1- أهمية الموضوع وعظم الآثار المترتبة عليه.
- 2- الإسهام في خدمة الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم، وإبراز دورها في الحياة الواقعية.
- 3- صلة الموضوع بالواقع، خاصةً مع ما تعانيه بعض مجتمعاتنا من انفصال السلوك العبادي عند البعض عن السلوك الأخلاقي.
- 4- ما للأخلاق من تأثير بالغ على الأفراد والمجتمعات.

مشكلة الدراسة:

تبرز إشكالية هذه الدراسة من خلال الإجابة على عدّة تساؤلات، منها:

- 1- هل الأخلاق المستفادة من العبادات يمكن أن تكون حلاً عملياً في تحسين الأخلاق على أرض الواقع؟
- 2- ما الأسلوب القرآني في ترسيخ الأخلاق؟
- 3- هل العبادات تساعد المرء على التخلق الحسن؟
- 4- أين يكمن السر في اقتران الأخلاق بالعبادات في القرآن؟
- 5- هل للأخلاق والعبادات تأثير على المجتمع المسلم؟

أهداف الدراسة:

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى محاولة تحقيق جملة من الأهداف، ومنها:

- 1- التعرف على معنى الأخلاق والعبادة.
- 2- التعرف على الأسلوب القرآني في ترسيخ الأخلاق.
- 3- التوصل إلى علاقة الأخلاق بالعبادات في القرآن الكريم.
- 4- إبراز جوهر الأخلاق الفاضلة من خلال العبادات.
- 5- اكتشاف المنهج القرآني في عرض الأخلاق.
- 6- مدى تأثير الأخلاق المستمدة من العبادات على الفرد والمجتمع.

منهجية البحث:

اعتماد الباحث في هذه الدراسة عدّة مناهج بحثية، وذلك على النحو الآتي:

1. المنهج الاستقرائي:

وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية ذات العلاقة بموضوع الدراسة، ومن ثم توزيعها على فصول الدراسة، وتفسيرها وإظهار ماهية الموضوع، كما هو متعارف عليه في الدراسات القرآنية.

2. المنهج الوصفي:

وذلك بمحاولة الباحث دراسة الظاهرة كما هي موجودة في الواقع، ووصفها وصفاً دقيقاً، وتوضيح خصائصها.

3. المنهج التحليلي الاستنتاجي:

وذلك بمحاولة الباحث أن يستنبط الملاحظات للدراسة من النصوص القرآنية، والكشف عما تحتويه من دلالات وإشارات؛ بغية توظيفها في موضوع الدراسة، وإظهارها في الصورة التي تليق بها.

ولقد اتبع الباحث جملةً من الإجراءات المنهجية، إضافةً إلى ما سبق بيانه، على النحو

الآتي:

1- كتابة الآيات القرآنية الكريمة، مكتملةً أو مجزأةً، بخط المصحف الشريف بالرسم العثماني.

2- عزو الآيات الكريمة في القرآن الكريم بذكر السورة ورقم الآية، وبيان ذلك في حاشية البحث.

3- الرجوع إلى أمّات كتب التفسير لتفسير الآيات الكريمة.

- 4- الرجوع للسنة الشريفة وذلك بتخريج الأحاديث من مصادرها، فإن كان الحديث في الصحيحين فيعزى لهما، وإن كان الحديث في غيرهما فيعزى لمصادره مع بيان درجته من أقوال أهل العلم.
- 5- عزو الأقوال والنصوص المنقولة العامة لقائلها مع الإحالة للمصدر الذي تم الاقتباس منه.
- 6- التوثيق المفصل عند إيراد المرجع لأول مرة، ومن ثم الاختصار على ذكر اسم الشهرة للمؤلف واسم الكتاب، والجزء والصفحة إذا تكرر الرجوع إليه.
- 7- استخدم الباحث كلمة (يُنظر) عندما يتصرف في النص بشكل كامل أو يسير.
- 8- وضع علامات الترقيم والتشكيل بما يلزم في البحث.
- 9- مراعاة التسلسل الزمني في العزو وفق الأسبقية الزمنية في حواشي البحث.
- 10- تم تقسيم البحث إلى مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة، لخصت فيها أبرز النتائج والتوصيات، مع الفهارس اللازمة للبحث.

خطة الدراسة:

وتتكون خطة الدراسة من مقدمة، وخمسة فصول، وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: تضمنت الإشارة إلى أهمية موضوع الدراسة، وأسباب اختيارها، ومشكلتها، وبيان أهدافها، وإلى الدراسات السابقة، ومنهجية الدراسة وخطتها.

الفصل الأول: مفهوم العبادات والأخلاق وبيان مكانتها، ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: تعريف مفاهيم الدراسة (العبادات والأخلاق).

المبحث الثاني: بيان مكانة الأخلاق في الإسلام وفضلها وخصائصها.

الفصل الثاني: أثر الصلاة في الأخلاق، ويشتمل على خمسة مباحث، هي:

المبحث الأول: أثر الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر.

المبحث الثاني: أثر الصلاة في طمأنينة النفس وخضوع الجسد.

المبحث الثالث: أثر الصلاة في ترويض النفس على الصبر.

المبحث الرابع: أثر الصلاة في تربية الفرد على التأدب مع الخالق جلّ في علاه.

المبحث الخامس: أثر صلاة الجماعة في أخلاق المجتمع.

الفصل الثالث: أثر الأخلاق في الزكاة. وفيه مبحثان، هما:

المبحث الأول: أثر الزكاة في أخلاق الفرد.

المبحث الثاني: أثر الزكاة في أخلاق المجتمع.

الفصل الرابع: أثر الصيام في الأخلاق. وفيه مبحثان، هما:

المبحث الأول: أثر الصيام على أخلاق الفرد.

المبحث الثاني: أثر الصيام على أخلاق المجتمع.

الفصل الخامس: أثر الحج في الأخلاق. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر الحج على أخلاق الفرد.

المبحث الثاني: أثر الحج على أخلاق المجتمع.

ثم الخاتمة وبها خلاصة البحث، ونتائجه، والتوصيات.

ثم الفهارس، وهي تشتمل على الآتي:

1. فهرس المحتويات، في مقدمة البحث.

2. فهرس الآيات القرآنية.

3. فهرس الأحاديث الشريفة.

4. فهرس المصادر والمراجع.

وختاماً: فهذا ما استطعت أن أبذله من بحث وعمل في هذه الدراسة المتواضعة، ولقد سعيت وبذلت فيها كل جهدي ووقتي، ومهما حاولت سيبقى عملي هذا ناقصاً، لأن البشر يعترتهم النقص، وإنما الكمال له سبحانه، والحمد لله على ما أعانني عليه من فضله ومنه، وأسأله جلّ وعلا أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيبني عليه خيراً، وأن يرزقني الإخلاص في السر والعلن، إنه القادر على ذلك والموفق له. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، والحمد لله ربّ العالمين.

الباحث

الفصل الأول

مفهوم العبادات والأخلاق وبيان مكانتها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف مفاهيم الدراسة (العبادات والأخلاق).

المبحث الثاني: بيان مكانة الأخلاق في الإسلام وفضلها وخصائصها.

المبحث الأول

تعريف مفاهيم الدراسة (العبادات والأخلاق)

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: العبادات في اللغة:

تأتي العبادة في اللغة بمعنى: الطاعة، والتذلل، والتسك، والتعبد، والخضوع، كما سيظهر من أقوال أهل العلم:

فالعبادات مفردها: عبادة، ومادتها: (ع ب د). قال ابن فارس: "عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً... يُقَالُ مِنْهُ عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً، وَتَعَبَّدَ يَتَعَبَّدُ تَعَبُّدًا".⁽¹⁾

فالعبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية في التذلل ولا تكون إلا لله تبارك وتعالى⁽²⁾.

ومن معانيها:

أولاً: الطاعة والخضوع والتذلل والتسك:

قال الأزهري: "وَمَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي اللُّغَةِ: الطَّاعَةُ مَعَ الخُضُوعِ".⁽³⁾

⁽¹⁾ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت: 395هـ)، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، 6 مج. (ج: 4/ص: 205). ويُنظر: مختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت: 1424هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، (ط 1)، 1429هـ-2008م، 4 مج. (ج: 2/ص: 1448).

⁽²⁾ يُنظر: الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بالراغب الأصفهاني، (ت: 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق وبيروت، (ط 1)، 1412هـ، (ص: 542).

⁽³⁾ الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، (ت: 370هـ)، **تهذيب اللغة**. تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط 1)، 2001م، 8 مج. (ج: 2/ص: 138). ويُنظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)، **الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، (ط 4)، 1407هـ-1987م، 6 مج. (ج: 2/ص: 503). ويُنظر أيضاً: الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية، 40 مج. (ج: 8/ص: 330).

وفي لسان العرب: "الخُضوع والتذلل... وَرَجُلٌ عَابِدٌ مِنْ قَوْمِ عَبَدَةِ وَعْبُدِ وَعَبَدٍ وَعِبَادٍ. وَالتَّعَبُّدُ: التَّنَسُّكُ. وَالْعِبَادَةُ: الطَّاعَةُ. فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ؛ أَي نَطِيعُ الطَّاعَةَ الَّتِي يُخْضَعُ مَعَهَا، وَقِيلَ: إِيَّاكَ نُوحِّدُ، قَالَ: وَمَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي اللُّغَةِ الطَّاعَةُ مَعَ الْخُضُوعِ"⁽¹⁾.

ثانياً: الخشوع والاستكانة:

قال الطبري: "وتأويل قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ): لك اللهم نَخْشَعُ... ونستكين، إقراراً لك يا ربنا بالرئوبية لا لغيرك."⁽²⁾. فيجتمع مع الطاعة التوحيد، أي: "تُوحِّدُكَ وَتُطِيعُكَ خَاضِعِينَ، وَالْعِبَادَةُ الطَّاعَةُ... وَسُمِّيَ الْعَبْدُ عَبْدًا لِذَلَّتِهِ وَإِنْقِيَادِهِ"⁽³⁾.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1- تأتي العبادة بمعان متقاربة، منها: الطاعة، والخضوع، والتذلل، والتعبد، والتسك، والاستكانة.

2- العبادة في الإسلام توحيد، وهو جوهر الطاعة والعبادة لله وَعَلَى.

⁽¹⁾ ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ط 3)، 1414 هـ، 15 مج. (ج: 31/ص: 271-273).

⁽²⁾ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاکر، مؤسسة الرسالة، (ط 1)، 1420هـ-2000م، 24 مج. (ج: 1/ص: 157). ويُنظر أيضاً: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط 2)، 1420هـ-1999م، 8 مج. (ج: 1/ص: 135).

⁽³⁾ البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط 4)، 1417هـ-1997م، 8 مج. (ج: 1/ص: 53). ويُنظر أيضاً: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين، (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ط 3)، 1420هـ، 22 مج. (ج: 1/ص: 210).

المطلب الثاني: العبادات في الاصطلاح:

للعبادة عدة تعاريف، يمكن تصنيفها كما يأتي:

أولاً: مخالفة النفس والهوى:

فالعبادة هي: قيام المكلف بالأفعال التعبدية خلافاً لنفسه وهواها، تعظيماً لربه تبارك وتعالى⁽¹⁾.

ثانياً: ما يحبه الله ويرضاه:

وعرف ابن تيمية العبادة بقوله: "العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة. فالصلاة والزكاة والصيام والحج... وكذلك حب الله ورسوله وخشيته الله... هي من العبادة لله"⁽²⁾.

والعبادة على ثلاثة أنواع: بدني محض كالصلاة والصوم، ومالي محض كالزكاة، ومركب منهما كالحج⁽³⁾.

ثالثاً: كمال المحبة والخضوع:

وعرفها ابن كثير بقوله: "عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"⁽⁴⁾. فيكون مزيجاً مجتمعاً في قلب المؤمن.

(1) يُنظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، (ط 1)، 1 مج. 1403هـ-1983م، (ص: 146). ويُنظر أيضاً: الأحمدي نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت: قبل القرن 12 للهجرة)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية - لبنان، بيروت، (ط 1)، 1421هـ-2000م، 4 مج. (ج: 2/ص: 216).

(2) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحنبلي الدمشقي، (ت: 728هـ)، العبودية، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، (ط 1)، 1426هـ-2005م، (ص: 45).

(3) يُنظر: الجرجاني، كتاب التعريفات، (ص: 146). ويُنظر أيضاً: الأحمدي نكري، دستور العلماء، (ج: 2/ص: 216).

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 1/ص: 134).

فتضمنت العبادة الحب والذل لله سبحانه، فهو المعبود الذي يستحق غاية الحب والعبودية بالإجلال والإكرام والخوف والرجاء، يفنى القلب بحب الله تعالى عن حب ما سواه ودعائه والتوكل عليه وسؤاله عما سواه ويطاعته عن طاعة ما سواه⁽¹⁾.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. تقارب المعنى اللغوي للعبادة مع المعنى الاصطلاحي.

2. يدخل في العبادة الخوف والمحبة والتعظيم لله جل جلاله.

3. لا تصرف العبادة الحقبة إلا لله وَعَلَى.

4. العبادة ثلاثة أنواع: بدني ومالي ومركب منهما.

5. في العبادة مخالفة للهوى.

المطلب الثالث: الأخلاق في اللغة:

للأخلاق لغة عدة تعريفات منها:

أولاً: السجّية والطبع:

الأخلاق من مادة خَلَقَ (خ ل ق)، ومفردتها: الخُلُق، قال ابن فارس وهي: "السَّجِيَّةُ، لِأَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ قُدِّرَ عَلَيْهِ. وَفُلَانٌ خَلِيقٌ بِكَذَا، وَأَخْلُقُ بِهِ، أَيُّ مَا أَخْلَقَهُ، أَيُّ هُوَ مِمَّنْ يُقَدَّرُ فِيهِ ذَلِكَ."⁽²⁾.

⁽¹⁾ يُنظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم الحنبلي الدمشقي، (ت: 728هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م، 35 مج. (ج: 28/ص: 35).

⁽²⁾ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج: 2/ص: 214). ويُنظر أيضاً: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ج: 4/ص: 1471).

ثانياً: الدين والمروءة:

وذكر ابن منظور⁽¹⁾، والفيروزآبادي⁽²⁾: أن الخلق بالضم وبضمّتين: الخُلُق والخُلُق، يأتي بمعنى الدين والمروءة، "وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ لِصُورَةِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنَةِ وَهِيَ نَفْسُهُ وَأَوْصَافُهَا وَمَعَانِيهَا الْمُخْتَصَّةُ بِهَا بِمَنْزِلَةِ الْخُلُقِ لِصُورَتِهِ الظَّاهِرَةِ وَأَوْصَافِهَا وَمَعَانِيهَا"⁽³⁾.

ويُفهم من كلام ابن منظور السابق بأن الظاهر مرآة للباطن ينعكس الباطن عليه، وبهذا المعنى يقول الراغب: "الخُلُقُ والخُلُقُ في الأصل واحد... لكن خصّ الخلق بالهيئات والأشكال والصّور المدركة بالبصر، وخصّ الخلق بالسّجايا المدركة بالبصيرة"⁽⁴⁾.

ثالثاً: التّأدب والأدب:

"حَقِيقَةُ الخُلُقِ فِي اللُّغَةِ: هُوَ مَا يَأْخُذُ بِهِ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مِنَ الْأَدَبِ يُسَمَّى خُلُقًا، لِأَنَّهُ يَصِيرُ كَالْخُلُقَةِ فِيهِ"⁽⁵⁾. وموطننا لنفسه ومعتاداً عليه.

مما سبق من التعريفات، يتبين ما يأتي:

1. للأخلاق لغة أكثر من معنى.

2. الخُلُق في اللغة: السجايا، والطباع، والدين، والمروءة، والأدب، والخصال.

⁽¹⁾ يُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج:10/ص: 86).

⁽²⁾ يُنظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (ط 8)، 1426 هـ - 2005 م، مجلد واحد، (ج:1/ص: 881). ويُنظر أيضاً: الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ص: 429).

⁽³⁾ ابن منظور، لسان العرب، (ج:10/ص: 86).

⁽⁴⁾ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 297). ويُنظر أيضاً: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، (ت: 505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، 4 مج. (ج: 3/ص: 53).

⁽⁵⁾ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط 2)، 1384 هـ - 1964 م، 20 جزءاً (في 10 مجلدات). (ج: 18/ص: 227).

3. يكمن الخلق بباطن الإنسان وظاهره.

المطلب الرابع: الأخلاق في الاصطلاح:

تعددت التعريفات الاصطلاحية للأخلاق، وتتنوع وفق مذهب من يعرفها، وما يعني هذه الدراسة تعريف الخلق من المنظور الإسلامي، وأهم ما قيل في تعريفه يأتي:

لقد وجدت تعاريف كثيرة لمصطلح الأخلاق عند العلماء بحسب اتجاهاتهم، فاقْتَصَرَ على التعريفات الإسلامية، ومنها على سبيل المثال:

أولاً: قال الإمام الغزالي: "فالخلق عبارة عن هَيْئَةٍ فِي النَّفْسِ رَاسِحَةٌ عَنْهَا تُصَدِرُ الْأَفْعَالَ بِسُهُولَةٍ وَيُسِرِّ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى فِكْرٍ وَرَوِيَّةٍ فَإِنْ كَانَتِ الْهَيْئَةُ بِحَيْثُ تُصَدِرُ عَنْهَا الْأَفْعَالَ الْجَمِيلَةَ الْمَحْمُودَةَ عَقْلاً وَشَرَعاً سُمِّيَتْ تِلْكَ الْهَيْئَةُ خُلُقًا حَسَنًا وَإِنْ كَانَ الصَّادِرُ عَنْهَا الْأَفْعَالَ الْقَبِيحَةَ سُمِّيَتْ الْهَيْئَةُ الَّتِي هِيَ الْمَصْدَرُ خُلُقًا سَيِّئًا"⁽¹⁾.

ثانياً: قال ابن القيم: "الْخُلُقُ: مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْمُتَكَلِّفُ مِنْ نِعْمَتِهِ. أَيُّ خُلُقٌ كُلُّ مُتَكَلِّفٍ: فَهُوَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ نُعُوتُهُ. فَتَكَلَّفُهُ يَرُدُّهُ إِلَى خُلُقِهِ. كَمَا قِيلَ: إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ"⁽²⁾.

والتعريف الذي يخلص إليه الباحث في الأخلاق، هو: السجايا والطباع التي تكمن في نفس المرء وشخصه، تضبطه في تصرفاته وسلوكه كلها، لما فيه من خير يعود عليه، ويرفع من قدره.

يُلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. تقارب المعنى الاصطلاحي للأخلاق من المعنى اللغوي، من حيث السجية والطباع والنفس.

(1) الغزالي، إحياء علوم الدين، (ج:3/ص:53). ويُنظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (ت:1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ، 30 مج. (ج: 19/ص: 171).

(2) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية، (ت: 751هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، (ط 3)، 1416هـ-1996م، مجلدان، (ج: 2/ص: 301).

2. تبين من المعنى الاصطلاحي للأخلاق، أنه ينقسم إلى نوعين: الخلق الحسن المستحسن عقلاً، والمقبول شرعاً، وضده الخلق السيء.

3. الأخلاق إما أن تكون فطريةً، وإما أن تكون مكتسبةً.

المبحث الثاني

بيان مكانة الأخلاق في الإسلام وفضلها وخصائصها

للأخلاق مكانة عظيمة في الإسلام، وفصائل كثيرة، وتختص بخصائص ومميزات، تظهر

فيما يلي:

المطلب الأول: مكانة الأخلاق:

للأخلاق في ديننا الحنيف مكانة عظيمة، فكثيرة هي الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة

التي دعت إليها.

ومن ذلك ما ذكرته آيات سورة المؤمنين، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩﴾ (١).

فالسورة بدأت بتقرير الفلاح للمؤمنين، ثم وصفتهم بوصف مطول، يبرز فيه الجانب السلوكي لأولئك المؤمنين، موحياً وموضحاً أن هذه الأخلاقيات هي ثمرة الإيمان وسلوك عملي ملموس من العقيدة (٢).

والناظر في هذه العقيدة، كالناظر في سيرة رسولها ﷺ، يجد العنصر الأخلاقي بارزاً أصيلاً فيها، تقوم على أصولها التشريعية وأصولها التهذيبية على السواء، فمن الدعوة الكبرى إلى الطهارة والنظافة والأمانة والصدق والعدل والرحمة والبر وحفظ العهد، ومطابقة القول للفعل، ومطابقتها معاً للنية والضمير والنهي عن الجور والظلم والخداع والغش وأكل أموال الناس بالباطل، والاعتداء على الحرمات والأعراض، وإشاعة الفاحشة بأية صورة من الصور والتشريعات

(١) المؤمنون، الآيات: 1-9.

(٢) يُنظر: قطب، محمد، دراسات قرآنية، دار الشروق، بيروت - القاهرة، (ط 3)، 1402هـ-1982م، (ص: 136).

في هذه العقيدة، لحماية هذه الأسس وصيانة العنصر الأخلاقي في الشعور والسلوك، وفي أعماق الضمير وفي واقع المجتمع، وفي العلاقات الفردية والجماعية والدولية على السواء⁽¹⁾.

والرسول ﷺ يلخص رسالته في هذا الهدف النبيل، وتتوارد أحاديثه تترى في الحض على كل خلق كريم. وتقوم سيرته الشخصية مثلاً حياً وصفحةً نقيّةً، وصورةً رفيعةً، فأثنى الله تعالى عليه في كتابه الكريم، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽²⁾. فيمجد الله تعالى بهذا الثناء نبيه ﷺ⁽³⁾.

وبهذا يتبين كم رسالة الإسلام شاملة عامة لكل جوانب الحياة، وفي كل المعاملات، وهذا كله يرسخ الجانب الأخلاقي الذي يعدّ عصباً رئيساً في جوهر الدين الإسلامي.

وقد كان ﷺ أميناً على ذلك، فبدأ بنفسه، ثم بتهديب أخلاق من حوله، وأوضح لهم مكارم الأخلاق، حثاً وترغيباً منه على العمل وفق ما أمر الله في كتابه⁽⁴⁾. وكذلك عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"⁽⁵⁾.

وقد وردت في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁶⁾، أكثر من معنى، من

ذلك:

(1) يُنظر: قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1385هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت - القاهرة، (ط 7)، 1412هـ، 6 مج. (ج: 6/ص: 3657).

(2) القلم، آية: 4.

(3) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، (ج: 6/ص: 3657).

(4) يُنظر: الشهري، على عبد الله سعيد، منهاج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الأسرية، إشراف الدكتور: عبد المجيد محمد عبد المجيد، السعودية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدراسات العليا، فرع الكتاب والسنة، رسالة دكتوراه. 1407هـ-1987م، (ص: 39).

(5) أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (ط 1)، 1421هـ - 2001م، 45 مج. مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (ج: 14/ص: 512)، ح(8951). قال محققو المسند: صحيح. والبخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، (ط 4)، 1418هـ-1997م، باب حسن الخلق، (ص: 118). وقال الألباني: صحيح.

(6) القلم، آية: 4.

1- دين عَظِيم⁽¹⁾.

2- وقيل هو: الخُلُقُ البالغ أشد الكمال المحمود في طبع الإنسان، لاجتماع مكارم الأخلاق في النبي ﷺ في حسن معاملته الناس على اختلاف الأحوال المقتضية لحسن المعاملة، فالخلق العظيم أرفع من مطلق الخلق الحسن⁽²⁾.

وهذه الآية هي الوحيدة التي جاء فيها لفظ الخلق بالمعاني التي حوتها التعريفات اللغوية والاصطلاحية⁽³⁾. ولقد قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في وصف خلق النبي ﷺ: كان خلقه القرآن⁽⁴⁾.

ولم يُذكر خلقٌ محمود إلا وكان للنبي ﷺ منه الحظ الأوفر، وسمي خلقه عظيماً لأنه:

1- لم تكن له أمر سوى الله تعالى.

2- وقيل: لاجتماع مكارم الأخلاق فيه⁽⁵⁾.

3- ولقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فيه ﷺ: كان خلقه القرآن.

(1) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 23/ص: 528). ويُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 18/ص: 227).

(2) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج: 29/ص: 64).

(3) يُنظر: زمزمي، يحيى بن محمد حسن، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، بحث منشور على الإنترنت. 1424هـ، دون دار نشر، (ص: 19).

(4) يُنظر: مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 5 مج. كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض، (ج: 1/ص: 512)، ح(746). ونصه: "فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ الْقُرْآنَ".

(5) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 18/ص: 227).

وتبرز مكانة الأخلاق في الإسلام من خلال ما يأتي⁽¹⁾:

أولاً: النصوص الكثيرة عن الأخلاق في الكتاب والسنة:

ثمة نصوص كثيرة واردة في الكتاب والسنة، المتحدثة عن الأخلاق وفضائلها، صراحةً أو تلميحاً أو في ثنايا القصص القرآنية والأحكام الشرعية. كما في قوله تعالى في قصة يوسف عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾⁽²⁾، يدل هذا الخلق على العفو والصفح الجميل.

وكذلك في سورة القصص عندما تحدثت السورة عن قصة موسى مع الفتاتين، فقد انطوت القصة على أخلاق عظيمة، وقيم رفيعة سامية. وغيرها في الآيات الكثير والتي ستأتي.

ثانياً: المنزلة العالية الرفيعة لصاحب الخلق:

جعل الإسلام للأخلاق العظيمة منزلةً رفيعةً عاليةً، في الأجر والثواب في الدنيا والآخرة، فلقد مدح الرسول بحسن الخلق، كما تقدم.

ثالثاً: ارتباط الأخلاق بالعبادات بصورة مباشرة:

تهدف العبادات في أركانها الأربعة المتمثلة بالصلاة والصيام والحج والزكاة، إلى تحقيق فضائل الأخلاق ومحاسن العبادات في الفرد والمجتمع، وتبعدهم عن سوء الأعمال وردائل الأفعال والأقوال، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال ﷺ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾⁽³⁾.

⁽¹⁾ يُنظر: بآبكر، الدكتور الحاج صلاح، بحث بعنوان: دور الشريعة ومقاصدها في بناء الأخلاق، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الناشر: مجمع الفقه الإسلامي، جامعة الطائف، (العدد 7)، محكمة، 2012م، بحث من ستين صفحة، من (59-117). دار المنظومة. (ص: 78-81).

⁽²⁾ يوسف: 92.

⁽³⁾ العنكبوت: 45.

رابعاً: ترتيب العقوبة والوعيد لمن حاد عن الخلق القويم:

ولما ظهر من علو مكانة الأخلاق ورفعتها، رتب الإسلام على سوء الأخلاق العقوبة والوعيد. والأمثلة في ذلك كثيرة، منها:

1- توعد الله من يسعى في نشر الفاحشة والفساد؛ ليفسد أخلاق المؤمنين: العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، قال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (1).

2- أبغض الله تعالى المختال المتكبر، قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (2).

3- وكذلك ذم الله تعالى خائن الأمانة، قال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (3)، وغير ذلك في كتاب الله عز وجل. فيدل ما سبق على مكانة الأخلاق وأهميتها بكافة جوانبها.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. أن الإسلام قائم على الأخلاق، ممهد لها.
2. النصوص الآمرة بالأخلاق من الكتاب والسنة، كثيرة.
3. تبرز الأخلاق في الأحكام الشرعية، والتكاليف والقصص القرآنية.
4. رتب الشارع العقوبة على سوء الأخلاق.

(1) النور: 19.

(2) النساء: 36.

(3) النساء: 107.

المطلب الثاني: فضائل الأخلاق ومواضعها⁽¹⁾:

للأخلاق الإسلامية فضائل كثيرة جداً لا تتحصر، ورد العديد منها في القرآن الكريم، ونصت عليه السنة المطهرة، وأهم هذه الفضائل ما يأتي:

أولاً: فضائل الأخلاق الواردة في القرآن الكريم:

لقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة، ظهرت فيها الأخلاق بشكل جليّ، واهتمت بكثير من المحاور والأمور، ومنها:

1- كظم الغيظ والغضب، بل العفو عن الناس:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِمُتَّقِيْنَ ۗ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِبِينَ ۗ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾⁽²⁾.

2- دفع الشرّ بالخير، والتخلق بالخلق الحسن:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣١﴾⁽³⁾.

ومن حديث أبي ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله ﷺ: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ يُنظر: الهلالي، سليم، مكارم الأخلاق في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية. (ط 1)، 1408هـ-1988م، (ص: 48-53). ويُنظر أيضاً: الخراز، خالد بن جمعة بن عثمان، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، (ط 1)، مجلد واحد، 1430هـ-2009م، (ص: 33). ويُنظر أيضاً: الشهري، منهاج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الأسرية، (ص: 39-48).

⁽²⁾ آل عمران: 133-134.

⁽³⁾ فصلت: 34.

⁽⁴⁾ أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الأنصار، حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، (ج: 35/ص: 284)، ح(21354). قال محقق المسند: حسن لغيره. والترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، (ت: 279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، (ط 2)، 1395هـ-1975م، 5 مج. أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في معاشرته الناس، (ج: 4/ص: 355)، ح(1987). وأورده: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودي (المتوفى: 1420هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، الناشر: المكتب الإسلامي، مجلدان، (ج: 1/ص: 81)، ح(97). وقال الألباني: حسن.

3- الليونة واجتناب الفظاظة وغلظة القلب وخفض الجناح:

وهذا من أخلاق الرسول الهادي الأمين ﷺ مع أصحابه في دعوته ومعاشرته لهم، ولنا فيه أسوة ﷺ، قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى اللَّهِ إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ (1).

وكذلك خفض الجناح، ولين الجانب معهم (2). قال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣١٥﴾﴾ (3).

4- الدعوة بمحاسن الأخلاق:

لقد أمر الله تعالى بالدعوة إليه بالحسنى والقول اللين، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (4). وقوله تعالى لموسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في دعوتهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (5).

5- عدم مخالفة القول للفعل:

فمن الأخلاق ألا يخالف القول العمل والفعل، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ (6).

6- حفظ العهود والأمانات والأمر بالعدل:

حفظ العهد والأمانة من الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ

(1) آل عمران: 159.

(2) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 6/ص: 166).

(3) الشعراء: 215.

(4) النحل: 125.

(5) طه: 44.

(6) الصف: 2-3.

رَاعُونَ ﴿٨﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾. وكذلك العدل من الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽³⁾، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁵⁾.

7- الصلح بين المؤمنين، وعدم السخرية واللمز، والتنايز بالألقاب، واجتناب الظن والتجسس والغيبة:

وكل ذلك من الأخلاق، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁽⁶⁾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾⁽⁶⁾.

8- التواضع بالمشية، والإعراض عن الجاهلين:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁽⁷⁾ ﴿١٣﴾ وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾⁽⁸⁾ ﴿١٤﴾ وقال

(1) المؤمنون: 8.

(2) الأنفال: 27.

(3) الأنعام: 152.

(4) المائدة: 8.

(5) النحل: 90.

(6) الحجرات: 10-12.

(7) الفرقان: 63.

(8) الفرقان: 72.

تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٨) وَأَفْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (١٩) (١).

9- الإحسان للوالدين والأقارب والمساكين، وغير ذلك:

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣١) (٢).

10- الصدق:

فالصدق من الأخلاق العظيمة والنبيلة، ولقد حث الله عليها في كتابه، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩) (٣).

ثانياً: فضائل الأخلاق في السنة النبوية المشرفة:

وللأخلاق فضائل كثيرة بينها السنة المطهرة، ومنها:

1- مكارم الأخلاق من أعمال الجنة:

الأخلاق من الأعمال المقربة للجنة، الموصلة إليها، المورثة للفردوس الأعلى: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ» (٤).

(١) لقمان: 18-19.

(٢) النساء: 36.

(٣) التوبة: 119.

(٤) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (ج: 13/ص: 287)، ح(7907). قال محقق المسند: حسن. والترمذي، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، (ج: 4/ص: 363)، ح(2004). وابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، (ت: 273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، مجلدان. كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، (ج: 2/ص: 1418). ح(4246). والبخاري، صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، باب حسن الخلق إذا فقها، (ص: 123). وقال الألباني: حسن.

أما سوء الخلق فهو يقرب من النار.

2- مكارم الأخلاق سبب في كمال الإيمان:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا"⁽¹⁾.

3- مكارم الأخلاق من أسباب محبة الرسول ﷺ:

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا"⁽²⁾.

4- مكارم الأخلاق أثقل شيء في الميزان يوم القيامة:

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ"⁽³⁾.

5- مكارم الأخلاق تضاعف الأجر والثواب:

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ

(1) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (ج: 12/ص: 364)، ح(7402). قال محقق المسند: صحيح. وأبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 4 مج. كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، (ج: 4/ص: 220). ح(4682). وسنن الترمذي، أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، (ج: 3/ص: 458)، ح(1162). وأورده: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج: 1/ص: 266)، ح(1226). وقال الألباني: صحيح.

(2) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، (ج: 11/ص: 347)، ح(6735). قال محققو المسند: حسن. والترمذي، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، (ج: 4/ص: 370)، ح(2018). وأورده: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج: 1/ص: 320)، ح(1534). وقال الألباني: صحيح.

(3) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند القبائل، بقية حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، (ج: 45/ص: 510)، ح(27518). قال محققو المسند: إسناده صحيح. وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في حسن الخلق، (ج: 4/ص: 253). ح(4799). الترمذي، سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، (ج: 4/ص: 363)، ح(2003). وأورده: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج: 2/ص: 997)، ح(5718). وقال الألباني: صحيح.

دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ" (1).

6- مكارم الأخلاق تعمر الديار وتبارك في العمر:

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: "وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ" (2).

7- مكارم الأخلاق من خيار الأخلاق:

فمن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: "... وَكَانَ يَقُولُ ﷺ: "إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا" (3).

يُلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. فضائل الأخلاق كثيرة جداً في الكتاب والسنة.
2. فضائل الأخلاق تعود بالنفع الدنيوي والأخروي.
3. مكارم الأخلاق سبب لمحبة النبي ﷺ وقرب المجلس منه.
4. التقوى والأخلاق سبب في دخول الجنة.

(1) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، (ج: 41/ص: 145)، ح(24595). قال محققو المسند: صحيح لغيره. وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق، (ج: 4/ص: 252). ح(4798). وأورده: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج: 1/ص: 334)، ح(1617). وقال الألباني: صحيح.

(2) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، (ج: 42/ص: 153)، ح(25259). قال محققو المسند: إسناده صحيح.

(3) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (ت: 256هـ) صحيح البخاري، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط 1)، 9 مج. 1422هـ، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، (ج: 8/ص: 13). ح(6035). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كثرة حياته صلى الله عليه وسلم، (ج: 4/ص: 1810)، ح(2321). واللفظ للبخاري.

المطلب الثالث: خصائص الأخلاق:

تختص الأخلاق الإسلامية بعدة مزايا وخصائص جليلة، تُجَلِّي عَظَمَها وسمو قدرها، ومن

ذلك:

أولاً: الأخلاق ربانية المصدر:

الأخلاق الإسلامية مصدرها: كتاب الله، وسنة النبي ﷺ، فهي ربانية المصدر، وربانية

الهدف والغاية، وعلى هذا فهي بعيدة كل البعد عن الآراء البشرية والأفكار والوضعية⁽¹⁾.

وما دامت الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر، فهي تتسم بسمة الخلود، والصدق،

والصحة، كيف لا؟ والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا مَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾.

وفي كل اسم من أسمائه الحسنی جَلٌّ وعلا: خلق يتحلى به المسلم ويلتزم به، فيشعر

المسلم بارتباطه بحبل متين دائم متصل مع خالقه ومولاه. وبهذه الأخلاق التي وضعها ربنا سبحانه

وتعالى للبشرية تظهر الشخصية الإسلامية المميزة⁽⁴⁾.

ثانياً: الأخلاق منسجمة مع الفطرة:

تتميز الأخلاق الإسلامية بانسجامها مع الفطرة في تطبيقاتها العملية بحيث تحقق رغبات

الإنسان في ظل شريعة الله تبارك وتعالى، فهي تعبير عن أصل فطرته الإنسانية الراقية⁽⁵⁾.

(1) يُنظر: قطب، سيد، خصائص التصور الإسلامي ومفوماته، دار الشروق، القاهرة - بيروت، (ص: 41).

(2) الحجر: 9.

(3) يُنظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ: علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، 3 مج. الكتاب مرقم آليا، برنامج المكتبة الشاملة. (ج: 1/ص: 11).

(4) يُنظر: دحلان، آيات حسنة حسين، أخلاق الأنبياء والصالحين في القرآن الكريم - دراسة موضوعية، إشراف الدكتور: عبد الرحم يوسف الجمل، الجامعة الإسلامية، شؤون البحث العلمي والدراسات العليا، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، غزة، رسالة ماجستير. 2015م-1436هـ. (ص: 51).

(5) يُنظر: قطب، محمد، التطور والثبات في حياة البشر، دار الشروق، (ط 4)، 1400هـ-1980م، (ص: 106-107).

ثالثاً: تمييز السلوك الإنساني عن غيره:

من خصائص الأخلاق أنها تميز سلوك الإنسان عن سلوك البهائم، سواءً في تحقيق حاجاته الطبيعية أو في علاقاته مع غيره من الكائنات الأخرى، فالأخلاق زينة الإنسان من حيث الجنس والأكل والشرب والنظافة، وتذوق السلوك الجميل وتمييزه عن السلوك القبيح، والبحث عن أفضل العلاقات وأحسنها في المعاشرة والمحادثة والتعاون والتآلف وتبادل المحبة والإكرام والإحسان والتراحم والتعاطف وغيرها.

ولهذا فالآداب الأخلاقية زينة الإنسان وحليته الجميلة، ويقدر ما يتحلى بها الإنسان يضيف على نفسه جمالاً وبهاءً، وقيمةً إنسانيةً⁽¹⁾.

وكل ذلك تحقق في نبينا الكريم ﷺ، فقد وصفه تعالى في كتابه، فقال عزّ شأنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾⁽²⁾.

رابعاً: الشمولية والواقعية:

تتميز الأخلاق الإسلامية بصفة الشمول، فهي شاملة لكل شؤون الحياة، وهي ذات صلة بالعقيدة والعبادات والمعاملات ومختلف العلاقات، ابتداءً من علاقة الفرد بنفسه إلى علاقته بالآخرين، إلى علاقته بربه جلّ في علاه⁽³⁾.

ولما كانت الأخلاق واقعيةً، فإنه يمكن تطبيقها في حياة الناس والعمل بها دون عنق أو مشقة، فالله تعالى لا يطلب من البشر ما لا يطيقون، قال ﷺ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

(1) يُنظر: بالجن، مقداد محمد علي، علم الأخلاق الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض، (ط 1)، 1413هـ-1992م، (ط2)، 1424هـ-2003م، مجلد واحد، (ص: 7).

(2) آل عمران: 159.

(3) يُنظر: قرعوش، كاید، وآخرون، الأخلاق في الإسلام، (ط 2)، 1422هـ-2001م، (ص: 53 و 54).

(4) الطلاق: 7.

(5) يُنظر: زمزمي، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، (ص: 27).

خامساً: صالحة لكل زمان ومكان:

أخلاقنا الإسلامية ربانية المصدر، وتمتاز بالشمول، ولما كانت كذلك فهي صالح لجميع الناس عامة في كل الأزمان، وفي جميع الأماكن، نظراً لما تتميز به من السهولة واليسر، وعدم المشقة، ورفع الحرج عن الناس، وعدم تكليفهم بما لا يطاق. قال ﷺ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾⁽¹⁾. وقال ﷺ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾⁽²⁾⁽³⁾.

سادساً: التوسط:

الحياة تعجّ بكثير من المتناقضات الغير متناهية التي يسير عبرها الإنسان، فجاءت الأخلاق الإسلامية بصورتها وصفتها الوسطية لتوازن هذه التناقضات، فوازنت بين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين الواجبات والحقوق، وبين حق الجسم والروح، والمثالية والواقعية⁽⁴⁾.

فالإسلام ما جاء من أجل أن يضعف الجسد، أو يكبت الروح!!، فلا الزهد في الحياة يعني العيش برهبانية، ولا الانفتاح يعني العيش بلا دين ولا مسؤولية⁽⁵⁾.

فلقد أمر ﷺ بالتوسط مثلاً بالنفقة من دون إسراف ولا تقتير، فقال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾⁽⁶⁾⁽⁷⁾. وهذا من أخلاق الإنفاق.

سابعاً: المسؤولية:

الأخلاق الإسلامية تجعل الإنسان مسؤولاً عما يصدر منه في كل جوانب الحياة، سواء كانت هذه المسؤولية مسؤولية شخصية، أم مسؤولية جماعية، ولا تجعله اتكالياً لا يأبه بما يدور

(1) البقرة: 185.

(2) النساء: 28.

(3) يُنظر: مجموعة من الباحثين، موسوعة الأخلاق الإسلامية، (ج: 1/ص: 11). ويُنظر أيضاً: زمزمي، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، (ص: 27).

(4) يُنظر: دحلان، أخلاق الأنبياء والصالحين في القرآن الكريم - دراسة موضوعية (ص: 35).

(5) يُنظر: مراد، مصطفى، خلق المؤمن، دار الفجر للتراث - القاهرة، (ط 1)، 1426هـ-2005م، (ص: 22).

(6) الفرقان: 67.

(7) يُنظر: قرعوش، الأخلاق في الإسلام، (ص: 58).

حوله من أشياء، وهذه خاصية من خصائص أخلاقنا انفردت بها الشريعة الغراء. فالمسؤولية الشخصية أي أن الإنسان مسؤول عما يصدر منه عن نفسه إن كان خيراً فخييراً، وإن كان شراً فشرّاً⁽¹⁾.

وفي هذا يقول ربنا ﷻ:

1- ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾⁽²⁾.

2- ويقول ﷻ: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾⁽³⁾.

3- ويقول ﷻ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾⁽⁴⁾. فهذه الآيات وغيرها تبين مدى المسؤولية

التي تقع على عاتق الإنسان عما يصدر منه عن نفسه.

والمسؤولية العامة (الجماعية) التي تراعي الصالح العام للناس، فلا يكون الرجل إمعةً

متكاسلاً، أو متهاوناً مفرطاً أو متشدداً، بل يكون على الجادة والتوسط⁽⁵⁾.

ومن صور ثمرات المسؤولية العامة الجماعية نتيجة الالتزام بالقيم الخلقية⁽⁶⁾:

1- تمتع المسلم بحرمة الدم والمال والعرض.

2- تمتعه بعدالة الذات.

3- براءة الذمة.

4- محبة الناس وثناؤهم.

(1) يُنظر: مجموعة من الباحثين، موسوعة الأخلاق الإسلامية، (ج: 1/ص: 11 و12).

(2) فصلت: 46.

(3) الطور: 21.

(4) الإسراء: 15.

(5) يُنظر: مجموعة من الباحثين، موسوعة الأخلاق الإسلامية، (ج: 1/ص: 11 و12).

(6) يُنظر: الرومي، خالد عبد الله، القيم الخلقية في المنظور السلفي، إشراف: مفرح بن سليمان القوسي، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، قسم الثقافة الإسلامية، 1433هـ، رسالة ماجستير. منشور في شبكة الألوكة. (ص: 81).

5- مكافأة صانع المعروف. وغير ذلك.

ثامناً: الثبات:

أن منهج الأخلاق ثابت القيم، أصيل المبادئ، لا تتغير قواعده المنهجية، ولا تقبل التبديل أو الاجتهاد، ولا تخضع للمصالح الشخصية والأهواء الفردية، ومع ذلك فهو منهج مرن بما تقضيه المصلحة الشرعية، قال ﷺ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (1)(2).

تاسعاً: الرقابة:

تتميز الأخلاق الرقابة، فالرقيب على أدائها هو الله جلّ جلاله، قال ﷺ: ﴿وَإِنْ تَجَهَّزْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ (3)، وقال ﷺ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ (4)(5).

عاشراً: صلاح الظاهر والباطن:

إن صلاح الباطن أساس لصلاح الظاهر، ولا يصلح الظاهر إلا إذا كان نتيجةً وأثراً لصلاح الباطن. والأخلاق هي الكفيلة بإصلاح الباطن، وهي الشجرة الطيبة التي ثبت أصلها ويسق فرعها، وطاب ثمرها وآتت أكلها كل حين بإذن ربها(6).

(1) الروم: 30.

(2) يُنظر: زمزمي، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، (ص: 26).

(3) طه: 7.

(4) يونس: 61.

(5) يُنظر: زمزمي، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، (ص: 27). ويُنظر: بن حميد، صالح بن حميد عبد الله إمام وخطيب الحرم المكي، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم-، تأليف: عدد من المختصين بإشراف: صالح بن حميد عبد الله إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، (ط 4)، 12 مج. (ج: 1/ص: 83)،

(6) يُنظر: شلتوت، محمد، الإسلام عقيدة وشريعة، الشروق، القاهرة، (ط 18)، 1421هـ-2001م، (ص: 465).

ومن أقوى العبارات المأثورة في تقرير قضية الضمير، ألا وهي (صلاح الظاهر نتيجةً لصلاح الباطن)، هو ما جاء في حديث النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: "... أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ" (1)(2).

ويتبين مما سبق عرضه من فضائل الأخلاق وما يترتب عليها من أجر عظيم؛ لتكون حائثةً على العمل بها، ومن خصائصها أيضاً في الإسلام، فيدل على علو مكانتها، وبأنها شكّلت وصنفت بعناية لما يوائم الحياة الإنسانية والفرد والمجتمع كافةً. والله تعالى أعلم.

(1) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، (ج: 1/ص: 20). ح(52). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (ج: 3/ص: 1219)، ح(1599). واللفظ للبخاري.

(2) يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشرعية، (ص: 465).

الفصل الثاني

أثر الصلاة في الأخلاق

وفيه: تمهيد، وخمسة مباحث:

المبحث الأول: أثر الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر.

المبحث الثاني: أثر الصلاة في طمأنينة النفس وخضوع الجسد.

المبحث الثالث: أثر الصلاة في تروض النفس على الصبر.

المبحث الرابع: أثر الصلاة في تربية الفرد على التأدب مع الخالق جلّ في علاه.

المبحث الخامس: أثر صلاة الجماعة في أخلاق المجتمع.

تمهيد

تعريف الصلاة

أولاً: الصلاة في اللغة:

جاء في كتاب حلية الفقهاء: "الصلاة لها اسمان: لغوي وشرعي، فأما اللغوي: فالدعاء صلاة"⁽¹⁾.

وفي الصّاح: الصلاة هي: الدعاء. والصلاة من الله تعالى: الرحمة. والصلاة: واحدة الصلوات المفروضة، وهي اسم يوضع موضع المصدر، تقول: صليت صلاةً، ولا تقل تصليّةً. وصلّيتُ على النبي ﷺ. وصلّيت العصا بالنار، إذا لينتها وقومتها⁽²⁾.

الخلاصة: للصلاة في اللغة عدة معانٍ، منها: الدعاء، والرحمة، واللين، والتقويم، وغير ذلك.

ثانياً: الصلاة في الاصطلاح:

للصلاة تعريفات كثيرة بحسب المذاهب والاتجاهات⁽³⁾، والتعريف الاصطلاحي الشرعي المتعارف عليه للصلاة، أنها: أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة⁽⁴⁾.

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين الرازي، (ت: 395هـ)، حلية الفقهاء، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع - بيروت، (ط 1)، 1403هـ- 1983م، (ص: 65).

(2) يُنظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ج: 6/ص: 2402). ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج: 14/ص: 466).

(3) يُنظر: خير، إبتهاج محمد خير محمد، أثر الصلاة في تربية وسلوك المسلم، إشراف الدكتور: حسين محمد الحسن، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، رسالة ماجستير، 2007م، (ص: 11-13).

(4) يُنظر: ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، (ت: 620هـ)، المغني، مكتبة القاهرة، 10 مح، 1388هـ- 1968م، (ج: 1/ص: 267).

المبحث الأول

أثر الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر

للصلاة في الأخلاق أثر بارز، فهي تستحوذ على نصيب عظيم منها، ويتجلى أثرها على النفس والفرد والمجتمع، وسيوضح ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الآية الواردة في نهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر:

الصلاة عبادة يومية، يؤديها المسلم خمس مرات في اليوم، فرضها الله على عباده لتكون للمؤمنين درعاً وأقياً من الإثم، والبغي، والفحشاء، والمنكر، وسيئات الأقوال والأفعال، ومن سوء الخلق مع الخلق، وهي وسيلة عظيمة لتزكية النفس، قال **رَبِّكَ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾**⁽¹⁾⁽²⁾.

أولاً: اختلف أهل العلم في معنى الصلاة، في الآية الكريمة:

وقد اختلف أهل العلم في معنى الصلاة في الآية الكريمة على قولين⁽³⁾.

1- القرآن الذي يتلى في المساجد.

2- الصلاة.

والذي رجحه الطبري هو الصلاة، فقال: "والصواب من القول في ذلك أن الصلاة تنهى

عن الفحشاء والمنكر"⁽⁴⁾.

(1) العنكبوت: 45.

(2) يُنظر: نصيف، فاطمة عمر، أخلاقنا في الميزان، دار الحميدي، جدة، السعودية، (ط 1)، 1422هـ-2001م، (ص: 39). ويُنظر: إسماعيل، أحمد، مقال بعنوان: قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، مجلة هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الدينية، مجلد: 45، العدد: السابع والثامن، غير محكم. 2001م، مقال من تسع صفحات، من (49-57). دار المنظومة، (ص: 51-53).

(3) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 20/ص: 41).

(4) يُنظر: المرجع السابق، (ج: 20/ص: 42).

ثانياً: معنى الفحشاء والمنكر:

والفحشاء هي: الزنا، والقبیح من القول والفعل، وكل ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي⁽¹⁾.

والمنكر: معاصي الله، وضد المعروف، وكل ما قبحه الشرع وحرّمه وكرهه⁽²⁾.

إن الله تبارك تعالی أخبر أن الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، فمن أقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله تعالی، وإذا لم تكن بتلك الصفة لم تكن صلاة، فإن تاب هذا المقيم الصلاة يوماً وترك معاصيه، تبين أن ذلك من نهي الصلاة، وأن صلاته كانت نافلة له ناهيةً، وإن لم ينته إلا بعد زمن⁽³⁾.

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء رجل أن إلى النبي ﷺ، فقال: إن فلاناً يصلي في الليل، فإذا أصبح سرق قال ﷺ: "إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ"⁽⁴⁾، أي: إن صلاته ستنهاه عن سرقة.

وذلك أن الصلاة تحفظ العبد من أكبر شينين يقوضان دعائم المجتمع والناس والحياة، وهما: الفواحش والمنكرات.

⁽¹⁾ يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج:20/ص:42). ويُنظر أيضاً: ابن منظور، لسان العرب، (ج:6/ص:325).

⁽²⁾ يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج:20/ص:42). ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج:5/ص:233).

⁽³⁾ يُنظر: الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي، (ت:468هـ)، التفسير البسيط، تحقيق: أصل تحقيقه في رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (ط 1)، 1430هـ، عدد الأجزاء: 25 (24 وجزء للفهارس). (ج:17/ص:532).

⁽⁴⁾ أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (ج:15/ص:483)، ح(9776). قال محققو المسند: إسناده صحيح. وأورده: الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشأذه من محفوظه، مؤلف الكتاب الأصل: ابن حبان البستي، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بليان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: 739هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، (ط 1)، 1424هـ-2003م، عدد الأجزاء: 12 (10 أجزاء ومجلدان فهارس)، كتاب الصلاة، باب ما يكره للمصلي وما لا يكره (ج:4/ص:253)، ح(2551). وقال الألباني: صحيح.

يقول ابن كثير: "الصلاة تشتمل على شيئين: على ترك الفواحش والمنكرات، أي: إن مواظبتها تحمل على ترك ذلك"⁽¹⁾.

ثالثاً: خصال الصلاة:

وكذلك إن الصلاة فيها ثلاث خصال فكل صلاة لا يكون فيها شيء من هذه الخلال فليست بصلاة، وهذه الخصال هي: الإخلاص، والخشية، وذكر الله. فالإخلاص يأمره بالمعروف، والخشية تنهاه عن المنكرات، وذكر القرآن يأمره وينهاه⁽²⁾.

حيث إن المحافظة على الصلاة تعلم المؤمنين الخشية والخشوع، قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾⁽³⁾. قانتين: خاشعين⁽⁴⁾. وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁽⁵⁾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ⁽⁶⁾.

وإذا تعلم المؤمن من الصلاة الخشية والخشوع، صار طائعاً لله، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽⁶⁾.

إن الطاعة لله تبارك وتعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من مكارم الأخلاق التي يتحلى بها المؤمنون.

وذلك أن المصلي إذا كان خاشعاً مخبتاً، صلحت بذلك نفسه وخامرها مراقبة الله تعالى، فظهر ذلك في أقواله وأفعاله، وانتهى عن الفحشاء والمنكر، فالصلاة تشتمل على مذكرات بالله من

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 6/ص: 280).

(2) يُنظر: المرجع السابق، (ج: 6/ص: 282).

(3) البقرة: 238.

(4) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 5/ص: 234). ويُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج:

3/ص: 214).

(5) المؤمنون: 1-2.

(6) التوبة: 71.

أقوال وأفعال من شأنها أن تكون للمصلي كالواعظ المذكر بالله تعالى، إذ ينهى سامعه عن ارتكاب ما لا يرضي الله⁽¹⁾.

فيفعل الطاعات تركاً للمعاصي، ويتركها أيضاً فعلاً للطاعة، قال ابن تيمية: "بَلْ نَفْسُ فِعْلِ الطَّاعَاتِ يَنْضَمُّ تَرْكَ الْمَعَاصِي وَنَفْسُ تَرْكَ الْمَعَاصِي يَنْضَمُّ فِعْلَ الطَّاعَاتِ وَلِهَذَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ فَالصَّلَاةُ تَضَمَّتْ شَيْئَيْنِ: أَحَدُهُمَا نَهْيَهَا عَنِ الذُّنُوبِ. وَ الثَّانِي تَضَمُّهَا ذِكْرَ اللَّهِ وَهُوَ أَكْبَرُ الْأَمْرَيْنِ فَمَا فِيهَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ كَوْنِهَا نَاهِيَةً عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"⁽²⁾.

رابعاً: أقوال الصلاة وأفعالها، وأعمالها القلبية:

ففي الصلاة من الأقوال: تكبير الله، وتحميده، وتسبيحه، والتوجيه إليه بالدعاء، والاستغفار، وقراءة فاتحة الكتاب المشتملة على التحميد والثناء على الله، والاعتراف بالعبودية له، وطلب الإعانة، والهداية منه، واجتناب ما يغضبه، وما هو ضلال، وكلها تذكر بالتعرض إلى مرضاة الله، والإقلاع عن عصيانه وما يفضي إلى غضبه، فذلك صد عن الفحشاء والمنكر. ففي الصلاة أفعال هي: خضوع وتذلل لله تعالى من قيام وركوع وسجود، وذلك يذكر بلزوم اجتناب مرضاته والتباعد عن سخطه. وكل ذلك مما يصد عن الفحشاء والمنكر⁽³⁾.

وفي الصلاة أعمال قلبية من نية واستعداد للوقوف بين يدي الله، وذلك يذكر بأن المعبود جدير بأن يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه، فكانت الصلاة بمجموعها كالواعظ الناهي عن الفحشاء والمنكر، فإن الله قال: تنتهي عن الفحشاء والمنكر، ولم يقل تصد وتحول ونحو ذلك مما يقتضي صرف المصلي عن الفحشاء والمنكر. ثم الناس في الانتهاء متفاوتون، وهذا المعنى من النهي عن الفحشاء والمنكر هو من حكمة جعل الصلوات موزعة على أوقات من النهار والليل؛ ليتجدد التذكير وتتعاقد المواعظ، وبمقدار تكرر ذلك تزداد خواطر التقوى في النفوس، وتتباعد النفس من العصيان حتى تصير التقوى ملكة لها. ووراء ذلك خاصية إلهية جعلها الله في الصلاة يكون بها تيسير الانتهاء عن الفحشاء والمنكر⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج: 20/ص: 261-257).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج: 10/ص: 753).

(3) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج: 20/ص: 261-257).

(4) يُنظر: المرجع السابق، (ج: 20/ص: 261-257).

فالمسلم إذا أقام الصلاة وأداها بأركانها وشروطها وتمامها، على أكمل وجه وخشوع وإخلاص، واستحضر مثوله بين يدي ربه جل وعلا، قطع دابر العجب والتكبر والغرور والمنكر والشر، وكانت حائلاً وزاجراً ومانعاً له من كل إثم ومن كل ما يُشِين، فهي خير وازع على فعل الخير، لأنها تصل العبد الضعيف بمصدر القوة والخير والعدل، وهو الله عز وجل⁽¹⁾.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. الصلاة تنهى عن الفواحش والمنكرات.

2. الصلاة عبادة، ومحبة، وخضوع، وذكر لله وَعَجَّلَ.

3. الصلاة تعلم الخشوع والخشية.

4. الصلاة تعزز مكارم الأخلاق.

المطلب الثاني: الصلاة باب لكثير من الأخلاق:

أولاً: الصلاة تنهى عن السكر وما يُسكر:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾⁽²⁾.

السكر والمسكر من الألفاظ المذمومة شرعاً وعقلاً، يقال: فلان أسكره حب الدنيا، ويستعمل في سكر الهوى المذموم، فوصف بالسكر أرباب الفواحش، وأرباب الشراب المسكر، فلا يليق استعماله في أشرف الأحوال والمقامات، والسكر لذة ونشوة يغيب معها العقل الذي يحصل به التمييز، فلا يعلم صاحبه ما يقول، فالسكر يجمع معنيين: وجود لذة، وعدم تمييز، وقاصد السكر قد يقصدهما جميعاً، وقد يقصد أحدهما، فإن النفس لها هوى وشهوات تتلذذ بإدراكها، والعلم بما في

⁽¹⁾ يُنظر: نصيف، أخلاقنا في الميزان، (ص: 39). ويُنظر أيضاً: بابكر، دور الشريعة ومقاصدها في بناء الأخلاق، (ص:

98).

⁽²⁾ النساء: 43.

تلك اللذات من المفسد العاجلة والآجلة يمنعها من تناولها، والعقل يأمرها بأن لا تفعل، فإذا زال العلم الكاشف والمميز، والعقل الأمر الناهي، انبسطت النفس في هواها⁽¹⁾.

وحرم الله سبحانه وتعالى السكر لشيئين، ذكرهما في كتابه الكريم، وهما: إيقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين، والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصَدَّكُمُ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾⁽²⁾. وذلك يتضمن حصول المفسدة الناشئة من النفوس بواسطة زوال العقل، وانتفاء المصلحة التي لا تتم إلا بالعقل، وإيقاع العداوة أولاً، والصد عن ذكر الله من ثانياً⁽³⁾.

الخمرة مفسدة للأخلاق، فهي توقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين، وقد تحول بين المؤمن وصلاته، فلا يحسن تأديتها، فجاءت الصلاة مانعةً ناهيةً عنها.

ثانياً: خُلُقُ الْإِنْفَاقِ مِنْ آثَارِ الصَّلَاةِ:

الصلاة قرنت مع النفقة في كتاب الله تبارك وتعالى في كثير من المواضع، فالنفقة تدل على الإيمان، وعلى علو خلق صاحبها، في الإنفاق في سبيل الله، والتصدق على إخوته المحتاجين.

قال جلّ جلاله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁽⁴⁾. وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁽⁵⁾. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁽⁶⁾. وقال تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁽⁷⁾. وقال تعالى:

(1) يُنظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ج: 3/ص: 286).

(2) المائدة: 91.

(3) يُنظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ج: 3/ص: 287).

(4) البقرة: 3.

(5) السجدة: 16.

(6) الشورى: 38.

(7) الحج: 35.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾⁽¹⁾.

إن النفقة من شيمة أصحاب الأخلاق العالية، فالنفقة تدل على خُلق الكرم، والجود، والسخاء، والإحسان، بخلاف أهل البخل والشح، فيدل ذلك على نفوسهم المريضة، وسوء ما تخلقوا به.

ولقد ذم الله تعالى، الذي لم يؤدِّ الصلاة ولم ينفق الصدقة، فقال سبحانه: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾⁽²⁾. فلا صدق بكتاب الله، ولا صلى لله، ولا صدق بمال له، نخرأ له عند الله، ولا صلى الصلوات التي أمره الله بها⁽³⁾.

ثالثاً: من أثر الصلاة في الأخلاق أنها تُطهر الأبدان والقلوب:

الصلاة لا تُؤدِّي إلا بطهارة الأجساد، فأمر الشرع الحنيف بالتطهر لها، والوضوء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾⁽⁴⁾. إلى قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽⁵⁾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾⁽⁶⁾.

فلا تقبل صلاة بغير تطهر لها، كما جاء في حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهْوَرٍ..."⁽⁷⁾.

(1) الرعد: 22.

(2) القيامة: 31.

(3) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 19/ص: 113).

(4) المائدة: 6.

(5) المائدة: 6.

(6) البقرة: 222.

(7) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب: لا تقبل صلاة بغير طهور، (ج: 1/ص: 39).

ح(135). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب الطهارة للصلاة، (ج: 1/ص: 204)، ح(224). واللفظ لمسلم.

وهذه طهارة مادية، ويقابلها: طهارة معنوية، طهارة القلب من الشوائب والآفات، التي تتنافى وتتناقض الإيمان والأخلاق، فيبقى المسلم محافظاً على قلبه منها، نائياً مبتعداً عن كل ما يندس قلبه، من الأخلاق الذميمة والرذائل.

فوجب عليه تطهير قلبه من الحسد، والغل، والحقد، والآفات، وأن يحافظ عليه سليماً، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾⁽¹⁾.

بل يُوجد كثير من الناس، إنما الذي يهمله طهارة البدن فقط، ويزيد فيها على المشروع والمعقول اهتماماً وعملاً. ويترك من طهارة القلب ما أمر به، إيجاباً واستحباباً، ولا يفهم من الطهارة، إلا معناها الظاهر فقط⁽²⁾.

رابعاً: علاقة الصلاة بالإصلاح بين الناس:

اقتترنت الصلاة بالإصلاح، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾⁽³⁾.

الإصلاح من أخلاق المصلين، فهم مصلحون، يصلحون أنفسهم وغيرهم، ويصلحون ما يقع ويكون بين الناس.

والله سبحانه وتعالى، يثيبهم على عملهم العظيم هذا، ولا يضيعه؛ لأنهم مصلحون، يحبون الإصلاح⁽⁴⁾.

لقد حث الشرع الحنيف على الإصلاح بين المؤمنين؛ لأن الإصلاح يألف القلوب، ويُقضي على الأحقاد والضغائن فيها؛ ولأنه من التقوى. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾⁽⁵⁾. وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

(1) الشعراء: 89.

(2) يُنظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج: 1/ص: 15).

(3) الأعراف: 170.

(4) يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج: 9/ص: 164).

(5) الحجرات: 10.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مَنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ... لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ»⁽²⁾.

إن الإصلاح بين الناس من زمرة الأخلاق الفاضلة، التي يتخلق بها المؤمنون الصادقون، فيصلحون بين المؤمنين؛ طلباً لمرضاة ربهم تبارك وتعالى.

(1) الأنفال: 1.

(2) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند القبائل، من حديث أبي الدرداء عويمر، (ج: 45/ص: 500)، ح(27508). قال محققو المسند: إسناده صحيح. وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين، (ج: 4/ص: 280). ح(4919). والترمذي، سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (ج: 4/ص: 663)، ح(2509). وأورده: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج: 1/ص: 506)، ح(2590). وقال الألباني: صحيح.

المبحث الثاني

أثر الصلاة في طمأنينة النفس وخضوع الجسد

للصلاة أثرها الكبير على النفس والروح والجسد، ويتضح ذلك من خلال المطلبين الآتين:

المطلب الأول: الطمأنينة النفسية والروحية:

أولاً: أثر الصلاة في النفس:

الصلاة لها أثر بالغ في الجانب النفسي للإنسان، فهي تشعر المرء بصلته بخالقه، ويقوي فيه جانب الروح على جانب الجسد، فتسمو روحه على جسده، وتتغلب على غرائزه الحيوانية والمغريات، فيرجح جانب الخير فيه على جانب الشر، ويتجلى هذا العنصر في الوقوف بين يدي الله في الصلاة أثناء الليل وأطراف النهار، وفي دعاء العبد ومناجاته لربه⁽¹⁾.

لقد جعل الله الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾⁽²⁾. وأمرهم بإقامتها خمس مرات في اليوم؛ لتكون حمماً روحياً ينظفون بها من الأدران والخطايا، فمن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ حَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَجَتِهِ مَنْ قَالَوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَجَتِهِ شَيْئًا، قَالَ: «فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا»⁽³⁾.

ففي هذه الصلوات الخمس فرصة يعود فيها المخطئ إلى رشده، ويفيق المغرور فيها من سباته، ويرجع الإنسان فيها إلى ربه جلّ وعلا⁽⁴⁾. وهذا مما يعزز الجانب الأخلاقي والروحي في النفس المؤمنة.

⁽¹⁾ يُنظر: البيانوني، محمد أبو الفتح، العبادَة دراسة منهجية شاملة في ضوء الكتاب والسنة، دار السلام، القاهرة، وحب، وبيروت، (ط 1)، 1404هـ-1984م، (ص: 37). ويُنظر أيضاً: الرَّحِيلِي، وَهْبَةُ بن مصطفى، الفِئَةُ الإسلاميَّة وأدلتُّه، دار الفكر، دمشق، سورِيَّة، (ط 4)، 10 مج، (ج: 1/ص: 656).

⁽²⁾ النساء: 103.

⁽³⁾ (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: الصلوات الخمس كفارة، (ج: 1/ص: 112). ح(528). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا، وترفع به الدرجات، (ج: 1/ص: 462)، ح(667). واللفظ للبخاري.

⁽⁴⁾ يُنظر: القرضاوي، يوسف، العبادَة في الإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط 24)، 1476هـ-1995م، (ص: 225). ويُنظر أيضاً: الرَّحِيلِي، الفِئَةُ الإسلاميَّة وأدلتُّه، (ج: 1/ص: 656).

ثانياً: الصلاة طمأنينة للنفس:

إن الصلاة تدب في النفس النشاط والهدوء والطمأنينة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾⁽¹⁾. وفي الصلاة ذكرٌ لله، قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾⁽³⁾. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾⁽⁴⁾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ⁽⁵⁾.

الصلاة فيها طمأنينة للنفس والروح، ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: "يَعْقُدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنِ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ"⁽⁵⁾.

الصلاة لها أثر بالغ في طمأنينة الروح والنفس، وهذا له أثر بالغ في تعزيز الأخلاق الحميدة، فالصلاة فرضت لإعداد النفس وتعويدها على الأخلاق الحميدة؛ لكي تكون طمأنينة للقلوب والنفوس⁽⁶⁾.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. للصلاة تأثير بالغ على المؤمن نفسياً وروحياً.

(1) الرعد: 28.

(2) طه: 14.

(3) العنكبوت: 45.

(4) الأنفال: 2-3.

(5) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب التهجيد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل، (ج: 2/ص: 52)، ح(1142). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، (ج: 1/ص: 538)، ح(776). واللفظ للبخاري.

(6) يُنظر: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 52).

2. الصلاة تعزز الجانب الأخلاقي بشكل كبير.

3. في الصلاة طمأنينة لنفس المؤمن.

المطلب الثاني: خضوع الجسد والجوارح والبعد عن المعاصي والنفاق:

أولاً: تأثير الصلاة على الجسد:

كما سبق الكلام على الجانب الروحي والنفسي، كذلك الصلاة تُخضعُ الجسد والجوارح لله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾⁽¹⁾. وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾⁽²⁾. وفي ذلك تعزيز وإخضاع للجانب الأخلاقي.

الخضوع هو العنصر المتعلق بجانب الجسد والجوارح، الذي يمزج العبد على الطاعة والاتباع لكل ما أمر الله به، أو نهى عنه، فيدفعه إلى العمل الصالح، ويحجزه عن كل قبيح، وسيء في الأخلاق، ويكون هذا الخضوع الجسدي الإرادي متجلياً في الصلاة، في القيام والركوع والسجود والقعود⁽³⁾.

القدوم للصلاة والمشي إليها، وما يلحق بها من قيام وركوع وسجود، يؤدي لارتباط الجسد والجوارح بالصلاة، وهذا تأثير الصلاة على الجسد والجوارح والخضوع، والتذلل لله تبارك وتعالى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁴⁾.

ثانياً: الشهوات والمعاصي تؤدي لترك الصلاة:

ترك الصلاة يؤدي إلى الشهوات والمعاصي، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾⁽⁵⁾. فترك الصلاة وتضييعها يؤدي إلى

(1) الأعراف: 29.

(2) الأعراف: 31.

(3) يُنظر: البيانوني، العبادة دراسة منهجية شاملة في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 38).

(4) الحج: 77.

(5) مريم: 59.

المعاصي والشهوات، وهي من الكبائر التي يهلك بها صاحبها ولا خلاف، فجزاؤهم الغي، وهو: الهلاك والضلال في جهنم⁽¹⁾.

وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع؛ لأن الصلاة عماد الدين وقوامه، وخير أعمال العباد، فهم بتركها أقبلوا على شهوات الدنيا وملأوها، ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيًّا، أي: خسارة يوم القيامة⁽²⁾.

وكل ذلك منافٍ للأخلاق التي هي قوام الدين، فمن ضيَع الصلاة وتقص المعاصي، وولج في سيل الشهوات والملذات، كان مضيَعاً للأخلاق وما يتصل بها صفات نبيلة.

ثالثاً: الصلاة تنقي المؤمن من النفاق:

الصلاة تميّز صف المؤمنين من أصحاب النفاق، والقلوب المريضة، الممثلة نفوسهم بالأدران وما ينافي الأخلاق الحميدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾⁽³⁾.

المنافقون يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان جنةً وخوفاً من أهل الإيمان، وطمعاً بعرض الدنيا الزائل، لقد ذكر تعالى صفة بواطنهم الفاسدة، فقال تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾، أي: لا إخلاص لهم، ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقيّةً من الناس ومصانعةً لهم؛ ولهذا يتخلفون كثيراً عن الصلاة التي لا يُرون غالباً فيها كصلاة العشاء وقت العتمة، وصلاة الصبح في وقت الغلس، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَيْسَ صَلَاةٌ أَنْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ"⁽⁴⁾. كذلك ولا يذكرون الله إلا قليلاً في صلاتهم، ولا يخشعون فيها ولا يدرون ما

(1) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 18/ص: 215-218). ويُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 11/ص: 121-126).

(2) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 5/ص: 243).

(3) النساء: 142.

(4) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في الجماعة، (ج: 1/ص: 132). ح(657). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنهن، (ج: 1/ص: 451)، ح(651). واللفظ للبخاري.

يقولون، بل هم في صلاتهم ساهون لاهون، وعما يراد بهم من الخير معرضون⁽¹⁾.

فهم بسوء أخلاقهم يستخدمون الخداع والنفاق والتحايل في شؤونهم وأحوالهم، ونيل مصالحهم، بخلاف المؤمن الحق، فهو ينسلخ عنه، فيقبل على صلاته يريد بها وجه الله تبارك وتعالى ورضاه، متخلياً بأخلاق الإيمان، نابذاً كلّ ما يشينه من صفات وأخلاق المنافين المرائين.

ويُلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. الصلاة تخضع الجوارح وتروضها على الطاعة.
2. الصلاة تكبح جماح النفس عن شهواتها ومعاصيها، وفي ذلك تعزيز للجانب الأخلاقي.
3. الصلاة تنقي المؤمن من النفاق، ومن صفات المنافين السيئة.

⁽¹⁾ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 2/ص: 438 و439).

المبحث الثالث

أثر الصلاة في تروض النفس على الصبر

الصبر مكانته عظيمة في الإسلام، فهو من معالي الأخلاق، التي تحلّى بها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والمؤمنون والصالحون، احتساباً وطلباً للأجر من الله تعالى، والصلاة تعزز هذا الخلق الكريم، ويظهر هذا من خلال المطلبين الآتين:

المطلب الأول: الصلاة تزيد النفس قوة:

الصلاة تقوي النفس وتروضها على الصبر وتحمل المشاق والمصائب، وتعينها على مقاومة الجزع عند الشر، وعدم البخل عند الدعوة للخير، فهي تغرس في القلب مراقبة الله تعالى، والتغلب على نوازع الكسل والهوى، وجوانب الضعف الإنساني، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ (1)(2).

فالمصلي لا يكون هلوعاً خائفاً جزعاً من النوائب والفقر والمصائب، أو بخيلاً شاحاً في الخير (3). فهو متوكل على ربه جلّ في علاه، صابر ومحتسب ومؤمن ومسلم للقضاء والقدر، فاليد التي تُرفع لتكبر الله لا تسرف، والعين التي تنتظر لموضع السجود، لا تنظر إلى ما حرّم الله تعالى، والقلب الذي جعله صاحبه بين يدي مولاه، لا يخاف إلا إياه جلّ جلاله.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. الصلاة تقوي النفس على تحمل المشاق والمصائب.
2. الصلاة تغرس في قلب المؤمن التوكل على الله تعالى.
3. الصلاة تساعد على التغلب على نوازع الكسل والهوى، والضعف الإنساني.

(1) المعارج: 19-22.

(2) يُنظر: الفرضاي، العبادة في الإسلام، (ص: 223). ويُنظر أيضاً: نصيف، أخلاقنا في الميزان، (ص: 39).

(3) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 23/ص: 611).

المطلب الثاني: اقتران الصلاة بالصبر في القرآن الكريم:

اقتترنت الصلاة مع الصبر في أكثر من موضع في كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾⁽¹⁾. وقال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُتَّقِينَ﴾⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾⁽³⁾.

الصلاة في الآيات الكريمة مقرونة مع الصبر؛ لأن الصبر على الأذى والطاعات، والبعد عن المعاصي، من باب جهاد النفوس وقمعها عن شهواتها ومنعها من تطاولها، وهو من أخلاق الأنبياء والصالحين، فالصلاة كبيرة شاقة على النفوس التي لم تعتد الصبر والخشوع، بخلاف المؤمنين الذي تروضوا عليهما⁽⁴⁾.

وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾⁽⁵⁾. يقول الطبري، أي: "واصطبر على القيام بها، وأدائها بحدودها"⁽⁶⁾.

أمر تعالى نبيه ﷺ بأن يأمر أهله بالصلاة ويمتثلها معهم، ويصطبر عليها وعلى ملازمتها، وهذا الخطاب للنبي ﷺ، ويدخل في عمومه جميع أمته، وأهل بيته على التخصيص⁽⁷⁾.

والإنسان مجبول على العجلة، قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾⁽⁸⁾، وقال جلّ جلاله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾⁽⁹⁾.

فالإنسان عجول وصبره قليل، والصلاة تعلم خلق الصبر في الصدر والنفوس.

(1) البقرة: 45.

(2) الحج: 35.

(3) الرعد: 22.

(4) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 1/ص: 372-374).

(5) طه: 132.

(6) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 18/ص: 405).

(7) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 11/ص: 263).

(8) الأنبياء: 37.

(9) الإسراء: 11.

وبما أن الصلاة ترتبط بأوقات محددة، وبأوقات مخصوصة فهي تعود المؤمن على الهدوء، والاطمئنان والصبر وعدم الاستعجال، وينعكس هذا على حياته وشؤونه كلها⁽¹⁾.

وهذا ملموس في حياة المؤمن الخلق ومشاهد، حيث أنه عندما يلتزم في صلاته بوقتها المحدد لها، يعتاد على ذلك رويداً رويداً، فيصير ذلك عادةً في حياته.

وقد نهى النبي ﷺ أن تؤدي الصلاة سريعاً، ففي حديث الرجل المسيء لصلاته، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثلاثاً، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، فَمَا أَحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلَّمَنِي، قَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا»⁽²⁾.

أمر النبي ﷺ لهذا الرجل بإعادة الصلاة ثلاث مرات؛ لكي يطمئن فيها، حتى تكون صحيحةً. وهذا يعود على الصبر والاطمئنان والراحة فيها.

الصبر نعمة وفضل عظيم لمن رزقه، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول ﷺ: "...وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"⁽³⁾.

وإذا تعود على الصبر، صار من الصابرين الذين يأخذون أجرهم بغير حساب، كما قال

(1) يُنظر: التميمي، ياسين عبد الصمد كريدي، أثر الصلاة في تشكيل الفكر التربوي، كلية شط العرب الجامعة، قسم القانون، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)، المجلد: 34، العدد: 1، 2009م، (ص: 136).

(2) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يتم ركوعه بالإعادة، (ج: 1/ص: 158). ح(793). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب إثبات التكبير في كل خفض ورفع في الصلاة إلا رفعه من الركوع فيقول: فيه سمع الله لمن حمده، (ج: 1/ص: 297)، ح(397). واللفظ للبخاري.

(3) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب زكاة، باب الاستغفار عن المسألة، (ج: 2/ص: 122). ح(1469). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، (ج: 2/ص: 729)، ح(1053). واللفظ للبخاري.

تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽¹⁾.

ويلاحظ الباحث مما سبق، الأمور الآتية:

1. الصلاة تعود النفس على الصبر.
2. الصلاة تحتاج إلى مجاهدة النفس في تأديتها.
3. الصبر خلق قويم من أخلاق الإسلام العظيم.

⁽¹⁾ الزمر: 10.

المبحث الرابع

أثر الصلاة في تربية الفرد على التأدب مع الخالق جلّ في علاه

المطلب الأول: الصلاة تحقق العبودية:

الصلاة تحقق المراد الأسمى من خَلْقِ الإنسان، ألا وهو العبودية، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾. فالله تبارك وتعالى خلق الثقلين؛ للعبادة وفق هديه، وما أنزله على رسله صلوات الله عليهم أجمعين؛ وليقروا وليذعنوا في توحيده وعبادته، ونبذ الشرك بكافة أشكاله.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾⁽²⁾.

فيجتمع في العبادة الحب والتذلل له سبحانه، كما يقول ابن القيم:

وهو الإله الحق لا معبودَ إلا ...	وجهه الأعلى العظيم الشأن
بل كل معبود سواه فباطل ...	من عرشه حتى الحضيض الداني
وعبادة الرحمن غاية حبه ...	مع ذل عابده هما قطبان ⁽³⁾

الحب والتذلل لله تبارك وتعالى، زينة العبودية، التي يظهرها العبد تجاه مولاه وخالقه، فالعبد يبتغي مرضاة ربه، ويرجو عفوهِ ومغفرته.

يقول ابن القيم: "... المحبة مع الخضوع هي العبودية التي خلق الخلق لأجلها فإنها غاية الحب بغاية الذل ولا يصلح ذلك إلا له سبحانه والإشراك به في هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله ولا يقبل لصاحبه عملاً"⁽⁴⁾.

(1) الذاريات: 56.

(2) الأنعام: 162-163.

(3) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، القصيدة النونية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (ط 2)، 1417هـ. (ص: 35).

(4) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، الفوائد، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط 2)، 1393هـ-1973م، (ص: 183).

قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾⁽¹⁾. فكل ذنب يغفره تبارك وتعالى ويصفح عنه، إلا الشرك، نسأله العافية سبحانه.

لقد أمر الله تعالى بعبادته بإخلاص، مع أداء الصلاة، فقال سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾⁽²⁾. فالصلاة تحقق العبودية لله، وكما قال ابن كثير عنها: "وهي أشرف عبادات البدن"⁽³⁾.

إن المخلص لله إذا ذاق من حلاوة عبوديته لله، ومحبته لله ما يمنعه عن محبة غيره، إذ ليس عند القلب السليم أحلى ولا أذ ولا أطيب، ولا أسر ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله، ومحبته له وإخلاص الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيباً إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾⁽⁵⁾. قال ابن تيمية: "وإقامة الصلاة لذكره من أجلّ عبادته"⁽⁶⁾.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾⁽⁷⁾. أي: محمد ﷺ، حين قام يصلي ويقرأ القرآن، يدعو الله ويعبده بالصلاة، واستماع الجن لتلاوته فيها حين استمعوا القرآن منه ﷺ، فكاد يركب بعضهم بعضاً ازدحاماً ويسقطون، حرصاً على سماع القرآن، أثناء صلاته وعبادته ﷺ⁽⁸⁾.

وبين ﷺ أن الصلاة عمود الإسلام، ففي حديث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ... قال ﷺ:

(1) النساء: 116.

(2) البينة: 5.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 8/ص: 457).

(4) يُنظر: ابن تيمية، العبودية، (ص: 123).

(5) طه: 14.

(6) ابن تيمية، العبودية، (ص: 75).

(7) الجن: 19.

(8) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 19/ص: 23).

"رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذُرُوءُهُ سَنَامُهُ الْجِهَادُ"⁽¹⁾. فالصلاة عمود الإسلام، بها تستقيم العبودية لله تعالى.

أما من استكبر عن عبادته فمأواه النار، قال جلّ وعلا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾⁽²⁾.

كل من استكبر عن عبادة الله لا بد أن يعبد غيره، فإن الإنسان حساس يتحرك بالإرادة، فالإنسان له إرادة دائماً وكل إرادة فلا بد لها من مراد تنتهي إليه، فلا بد لكل عبد من مراد محبوب هو منتهى حبه وإرادته، فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته، واستكبر عن ذلك فلا بد أن له مراد محبوب يستعبده من دون الله، فيكون عبداً لذلك المراد المحبوب، إما المال وإما الجاه وغير ذلك⁽³⁾.

إن الكبر والتكبر من مساوئ الأخلاق، فالله تبارك وتعالى لا يحب المتكبرين، والذين يعتدّون بأنفسهم، ولا يخفضون جناحهم للناس، المخاتلين بأنفسهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾⁽⁴⁾.

وقال نبي الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ... الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَعَمَطُ النَّاسِ»⁽⁵⁾.

بخلاف المؤمنين المخلصين الصادقين العابدين، يقول جلّ جلاله عنهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ

(1) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تنمة مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، (ج: 36/ص: 345)، ح(22016). قال محقق المسند: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي، سنن الترمذي، أبواب الإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حرمة الصلاة، (ج: 5/ص: 12)، ح(2616). وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة، (ج: 2/ص: 1314). ح(3973). وأورده: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج: 2/ص: 913)، ح(5135). وقال الألباني: صحيح.

(2) غافر: 60.

(3) يُنظر: ابن تيمية، العبودية، (ص: 100).

(4) لقمان: 18.

(5) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (ج: 1/ص: 93)، ح(91).

فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَنْثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾.

وأعظم خلق يتخلق به الإنسان، وأعظم أدب يتأدب به هو الأدب الذي يتأدبه مع خالقه، وهو أدب العبودية، وإقامة الصلاة هي من أهم الفرائض، فما هي إلا تعبير عن أدب العبودية وخلق التذلل والانكسار لله تعالى، شكراً من العبد لربه على فضله ذلك أنه خلقه وهداه، ووهبه العقل والسمع والبصر والقلب وغير ذلك من النعم الأخرى. فالصلاة وسائر العبادات إنما هي وسائل لأعظم غاية⁽²⁾. وشعور العبد بصفة العبودية والتمثل بها، تجعله يتواضع لخلق الله تعالى أولاً، وللناس ثانياً.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. الصلاة تحقق العبودية لله تعالى، متأدباً مع خالقه، موحداً إياه، ممتثلاً بأوامره ونواهيه.
2. في الصلاة محبة الله، والتذلل إليه سبحانه، وهذا من التأدب معه سبحانه.
3. إن الله تعالى لا يحب المتكبرين المتعاليين، أصحاب الأخلاق السيئة والبذيئة.
4. العبودية تجعل المؤمن متواضعاً رحيماً بغيره.

المطلب الثاني: الصلاة تنزية وتمجيداً لله تبارك وتعالى:

وإذا تدبر المسلم جوهر الصلاة، أدرك أنها عبادة تتكرر؛ لتقربه من الصراط المستقيم، وتوصله إلى الخلق القويم، فإذا قال العبد: الله أكبر، فهو يُنزه الله سبحانه وتعالى ويكبره عن كل ما

(1) الفتح: 29.

(2) يُنظر: حوى، معاذ سعيد، مقال بعنوان: من محاور رسالة عمان الأخلاقية في تشريعات الإسلام، مجلة هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الدينية، مجلد: 52، العدد: الأول، غير محكم. 2008م، كانون ثاني/ محرم، مقال من سبع صفحات، من (72-78). دار المنظومة، (ص: 75). ويُنظر أيضاً: البيانوني، العبادة دراسة منهجية شاملة في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 30).

في الوجود، فينبغي عليه ما دام يكبر الله، ألا يتكبر أو يبدّر أو ينشر في الأرض الفساد، بل يحسن إلى الناس، ويرحم الأرملة والمسكين وابن السبيل، فإنه يقف أمام أرحم الراحمين⁽¹⁾.

وهذا لا يتأتى إلا بالمحافظة على الصلاة المكتوبة، فلقد أثنى سبحانه على المؤمنين المحافظين عليها، وأثابهم الأجر الجزيل، فقال سبحانه: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾⁽²⁾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ⁽³⁾﴾⁽²⁾.

فهؤلاء المؤمنون الذين لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها وملاذ بيعها وربحها، عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم؛ لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق؛ فيقدمون طاعته ومراده ومحبته على مرادهم ومحبتهم⁽³⁾.

بل هم الذين تقشعر وتخشع قلوبهم بذكر الله، وتمتلئ خشيةً ووجلاً منه سبحانه، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁽⁴⁾﴾⁽⁴⁾.

وهم الذين يستعينون بالصبر ابتغاء مرضاة ربهم جلّ وعلا، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾⁽⁵⁾﴾⁽⁵⁾.

وكل هذا فيه تمجيد وتعظيم، وتنزيه وتقديس لله تبارك وتعالى، وفيه صدق ومحبة المؤمنين الصادقين له سبحانه. بخلاف فئة أخرى اتخذوا دينهم هزواً ولعباً، كلما نودوا إلى الصلاة، فقال تعالى فيهم: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁽⁶⁾﴾⁽⁶⁾.

(1) يُنظر: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 52).

(2) النور: 37-38.

(3) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 6/ص: 68).

(4) الحج: 35.

(5) الرعد: 22.

(6) المائدة: 58.

فمن عرف الحق، وما ينفعه في دنياه وأخراته، ورأى الآيات البينات الواضحات واتبعها، وأعرض عن الغي والضلال، فهو ممن يسلكون طريق الهدى والرشاد.

إذا أتوا الصلاة يأتونها تكاسلاً وثثقلاً عنها، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾⁽¹⁾. وهذا يدل على نفاقهم وكفرهم بالله تعالى، وسوء أدبهم معه سبحانه، وهذا دينهم دائماً، فلا يعظمون دين الله ولا شعيرة من شعائر الإسلام.

ويُلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. الصلاة تزيد المحبة والتمجيد والخشوع في قلوب المؤمنين لله تعالى.

2. الصلاة تميز الصف المؤمن عن المنافقين وتنقيه.

⁽¹⁾ التوبة: 54.

المبحث الخامس

أثر صلاة الجماعة في أخلاق المجتمع

أثر صلاة الجماعة في الأخلاق عظيم وبارز، ويتحقق في صلاة الجماعة والجمعات واجتماع الناس لصلاة العيدين، ويظهر ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الصلاة تحافظ على النظام والالتزام:

الصلاة لها أوقات محددة معلومة مؤقتة تقام فيها، وفق نظام متزن دقيق، وضعه وقدره الخالق جلّ وعلا، فقال سبحانه: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (1).

وفي ذلك فوائد جمة تُستشف في كثير من النواحي، فالصلاة تدرّب على حب النظام، والتزام التنظيم في الأعمال وشؤون الحياة، ودقة المواعيد واحترام الوقت وتقديره، لأدائها في أوقات منظمة معلومة، تنقسم على طول اليوم. وبها يتعلم المرء خصال الحلم والأناة والسكينة والوقار، ويتعود على حصر الذهن في المفيد النافع، لتركيز الانتباه في معاني آي القرآن وعظمة الله تعالى ومعاني الصلاة(2).

والله تبارك وتعالى يحب الصلاة على وقتها، كما قال النبي ﷺ عندما سأله عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: "أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا». قال: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: «ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ». قال: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(3).

(1) النساء: 103.

(2) يُنظَر: الرَّحِيلِي، الْفِقْهُ الْإِسْلَامِيُّ وَأَدَلَّتُهُ، (ج: 1/ص: 657).

(3) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، (ج: 1/ص: 112)، ح(527). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأئصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، (ج: 1/ص: 89)، ح(85).

الصلاة تعود المؤمن على الالتزام بالأوقات، والمحافظة على المواعيد، فهي مدرسة خلقية عملية انضباطية، تربي على فضيلة الصدق والأمانة واحترام الأوقات والمواعيد، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الصلاة تربية اجتماعية:

الصلاة تربية اجتماعية رشيدة شاملة، ومدرسة إنسانية كاملة، على نسق فريد متكامل، في تاريخ الأجيال والأمم والشعوب قاطبة، والعبادات والأديان⁽²⁾. قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾⁽³⁾.

وذلك عندما تؤدي بالمسجد، فهي تجمع المؤمنين، وتحثهم على التآخي والتآلف والتراحم فيما بينهم، وتفقد أحوالهم ومحبة بعضهم البعض، وفيها من وجوه الخير الشيء الكثير، كإفشاء السلام، وبشاشة الوجه، وغير ذلك، فقال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾⁽⁴⁾. فالتراحم يكون بين المؤمنين الراكعين الساجدين، الذين آمنوا مع النبي ﷺ، وابتغوا رضوان ربهم جلّ في علاه.

وقد شهد الله تعالى لمن يحافظ على الصلوات جماعةً ويلتزم المساجد على الدوام بالإيمان، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾⁽⁵⁾.

قال القرطبي: "قوله تعالى: "إنما يعمر مساجد الله" دليل على أن الشهادة لعمار المساجد بالإيمان صحيحة لأن الله سبحانه ربطه بها وأخبر عنه بملازمتها"⁽⁶⁾.

(1) يُنظر: الرُّحْبَلِيُّ، الفِئَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ وَأَدَلَّتُهُ، (ج: 1/ص: 657).

(2) يُنظر: القرطبي، العبادات في الإسلام، (ص: 233). ويُنظر أيضاً: نصيف، أخلاقنا في الميزان، (ص: 40).

(3) الأعراف: 29.

(4) الفتح: 29.

(5) التوبة: 18.

(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 8/ص: 90).

قوله تعالى "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله" يعني: صدق بوحداية الله تعالى، "واليوم الآخر" يعني: آمن بالبعث بعد الموت؛ لأن عمارة المسجد بإقامة الجماعات، وإلا فلا يكون ذلك عمارة لها، فذلك قوله تعالى: "وأقام الصلاة" يعني يداوم على الصلوات الخمس ويقيّمها بركوعها وسجودها في مواقيتها⁽¹⁾.

وهذا يدل على أن المراد بالعمارة: دخول المساجد والقعود فيها، وذكر الله تبارك وتعالى، وغير ذلك مما ينفع شؤون المسلمين⁽²⁾.

فالإسلام لم يكتف من المؤمن، أن يؤدي الصلاة وحده في عزلة عن المجتمع الذي يعيش فيه، بل دعاه لأدائها في جماعة في المسجد⁽³⁾. ولقد حثّ النبي ﷺ على ذلك. فمن حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: "صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةَ الْفَذِّ بِسَبْعِ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"⁽⁴⁾.

حيث إن المسجد الذي أسسه النبي ﷺ مدرسة الدعوة، ودار الدولة، فيه هياً النبي ﷺ العمل للعاطل، والعلم للجاهل، والمعونة للفقير، وهو دار إرشاد وتوجيه للأمر الصحية والاجتماعية، ويذيع الأنباء التي تهّم الأمة، وبه يلتقي بسفراء الدول، وبه يرتب جنود المعارك في الحرب، ويبعث الدعوة والمندوبين في السلم. فهكذا ظل المسجد في عهد الرسول ﷺ، وظل كذلك في عهد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ومن تبعهم بإحسان⁽⁵⁾.

الصلاة بحق مدرسة تربوية اجتماعية كاملة، متعلقة بالمسجد، فلا تتأتى ثمراتها، وفوائد

⁽¹⁾ يُنظر: السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي، (ت: 375هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت، 3 مج. (ج: 2/ص: 46).

⁽²⁾ يُنظر: الواحدي النيسابوري، التفسير البسيط، (ج: 10/ص: 333).

⁽³⁾ يُنظر: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 234).

⁽⁴⁾ (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، (ج: 1/ص: 131). ح(645). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، (ج: 1/ص: 450)، ح(650). واللفظ للبخاري.

⁽⁵⁾ يُنظر: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 246). ويُنظر أيضاً: حوا، من محاور رسالة عمان الأخلاقية في تشريعات الإسلام، (ص: 76).

تربيتها إلا إذا أدبت جماعة في المسجد مع المؤمنين.

المطلب الثالث: في الصلاة توحيد للصف والكلمة:

وفي الصلاة توحيد للصف والكلمة، فوقتها واحد وينادي عليها بأذان واحد، ويستجيب المؤمنون للنداء، ويجتمعون خمس مرات في كل يوم في صلاة الجماعة، في المسجد⁽¹⁾.

ومن الآيات الدالة على ذلك: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾⁽²⁾.

يعنى: صلاة المسلمين جماعةً، والركوع معهم، وفي الركوع: الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله. ويراد بالركوع أيضاً: الصلاة، كما يعبر عنها بالسجود، وأن يكون أمراً بأن يصلى مع المصلين، يعنى في الجماعة، كأنه قيل: وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين، لا منفردين⁽³⁾.

إذا اجتمع المؤمنون الموحدين، يظهر المسلمين في صورة القوة والتماسك والانسجام القلبي والعاطفي والأخلاقي، بأبها حلّة جمال، فيردد المؤمنون كلمات الأذان، ويقفون صفّاً واحداً يناجون ربهم سبحانه وتعالى.

المطلب الرابع: أثر الجمعة والعيدين في الأخلاق:

يكون الاجتماع على نطاق واسع في صلاة الجمعة، هذه الفريضة الأسبوعية التي أوجب الله فيها الجماعة إيجاباً، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: القرضاوي، العبادات في الإسلام، (ص: 234). ويُنظر أيضاً: الرَّحِيلِي، الفقه الإسلامي وأدلته، (ج: 1/ص: 657).

(2) البقرة: 43.

(3) يُنظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي - بيروت، (ط 3)، 1407هـ، 4مح، الكتاب مذيّل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري، (ت: 683)، وتخرّيج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي. (ج: 1/ص: 133).

(4) الجمعة: 9.

وفي هذا الاجتماع الأسبوعي فوائد أخلاقية، منها⁽¹⁾:

1. التعليم.
2. التوجيه.
3. الموعدة.
4. التذكير.
5. إحياء لعاطفة الأخوة.
6. تعزيز للوحدة.
7. إظهار للقوة.

وكل هذه الخصال، أشاد وأهاب بها الإسلام، فهي إظهار لشعائره القويمة والحميدة، فيها يتعزّز التوحيد ويتسع نطاق الإسلام، بمظهره وسلوكه.

ويكون هذا الاجتماع أكثر منه في صلاة العيدين، فجعل الإسلام منهما مؤتمراً جامعاً، ومهرجاناً كبيراً، يجمع أهل البلد جميعاً في مكان واحد في الخلاء، يذهب إليه الرجال والنساء حتى ذوات العذر منهن⁽²⁾.

فقد أمر رسول الله ﷺ، النساء في الفطر والأضحى، بشهود الخير والصلاة، حتى العواتق والحبيص وذوات الخدور، كما في حديث أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُنَّ وَقَالَ لِهِنَّ: "فَأَمَّا الْخَيْصُ فَيَعْتَزِلْنَ الصَّلَاةَ، وَيَسْهَدْنَ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ"⁽³⁾.

(1) يُنظر: القرضاوي، العباداة في الإسلام، (ص: 235).

(2) يُنظر: المرجع السابق، (ص: 235).

(3) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب شهود الحائض العيدين ودعوة المسلمين، ويعتزلن المصلى، (ج: 1/ص: 72). ح(324). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب ذكر إياحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى وشهود الخطبة، مفارقات للرجال، (ج: 2/ص: 606)، ح(890). واللفظ لمسلم.

كل ذلك يعزز الروح الأخلاقية والإيمانية، والعاطفية والأخوية والجماعية بين المسلمين.

إن دلّ على شيء، فيدل على الاجتماع الإنساني، فإذا لوحظ هذا في صلاة الجماعة اليومية، والجمعات والعديد، فيلاحظ يقيناً في الاحتفال السنوي حول المسجد الحرام في مكة، فيظهر يقيناً، كيفية أن العبادة في الإسلام، توسع دائرة الاجتماع الإنساني⁽¹⁾.

يتحقق فيه: التآلف والتآخي والتعارف بين المسلمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽²⁾. والضابط في ذلك كله: التقوى له سبحانه.

المطلب الخامس: الصلاة تعمق الأخوة والمحبة:

المسجد يضم أهل الحي في كل يوم خمس أوقات، تتلاصق فيها الأبدان وتتعارف فيها الوجوه، وتتصافح فيها الأيدي، وتتاجى بها الألسن، وتتألف فيها القلوب. فيجتمعون على غاية واحدة وإمام واحد، يناجون رباً واحداً، ويتلون كتاباً واحداً، ويتجهون إلى قبلة واحدة، ويؤدون أعمالاً واحدة، من قيام وركوع وسجود⁽³⁾.

فيتواصل المؤمن مع إخوانه بالبر والخير والتقوى والمعروف، والاهتمام بأوضاع وأحوال المسلمين العامة، ومساندة الضعيف والسجين والملاحق والغائب عن أسرته وأولاده. وبعد المسجد والصلاة فيه مقراً لقاعدة شعبية منظمة متعاونة متآزرة، تخرّج القيادة، وتدعم السلطة الشرعية، وتصحح انحرافات وأخطاءها بالكلمة الناصحة والموعظة الحسنة، والقول اللين⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: إقبال، محمد، تجديد الفكر الإسلامي في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة، وبيروت، 2011م، (ص: 154).

(2) الحجرات: 13.

(3) يُنظر: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 241 و 243). ويُنظر أيضاً: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 52 و 53).

(4) يُنظر: حوا، من محاور رسالة عمان الأخلاقية في تشريعات الإسلام، (ص: 76). ويُنظر أيضاً: الرُّحَيْلِي، الفقه الإسلامي وأدلته، (ج: 1/ص: 658).

والصلاة تميّز المسلم عن غيره، فتكون طريقاً للثقة والائتمان والأمان، وبعث روح المحبة والمودة فيما بين الناس، كما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَصَلَّى صَلَاتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَهُوَ الْمُسْلِمُ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ"⁽¹⁾.

فهذا يعمق المعاني والروح الأخلاقية، ويوطد أوامر الأخوة والمحبة الحية فيهم، بين أفراد الحيّ الواحد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽²⁾.

المطلب السادس: في الصلاة مساواة ووحدة للصف:

تتضح هذه الصورة جلية في صفوف المصلين في الصلاة، فتجد الأمير يقف بجانب الفقير، والغني بجوار المسكين، والسيد بجانب الخادم، والعالم بجانب العامل والفلاح، فلا يوجد صف لفئة دون فئة، فالجميع سواسية، فمن بكر في الذهاب إلى المسجد، أخذ مكانة في مقدمة الصفوف أيّاً كانت منزلته وعمله في الناس⁽³⁾.

وهذه هي الصورة الحقّة في المساواة والعدل، فالكل سواسية، وعباد الله رب العالمين، لا يتكبر بعضهم على بعض، أو يعلو أحد على أحد بالمنزلة، إنما ميزان التفاضل هو التقوى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾⁽⁴⁾.

صلاة الجماعة في الإسلام، وما فيها من قيم فكرية وروحية، تقوم على تحقيق الوحدة الضرورية للبشر في الحياة، وذلك بالقضاء على جميع الفوارق التي تميز بين إنسان وآخر، وجنس ولون وعرق⁽⁵⁾.

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب فضل استقبال القبلة، (ج: 1/ص: 87). ح(393).

(2) الحجرات: 10.

(3) يُنظر: القرضاوي، العبادات في الإسلام، (ص: 242-243). ويُنظر أيضاً: إقبال، تجديد الفكر الإسلامي في الإسلام، (ص: 156). ويُنظر أيضاً: الرَّحِيلِي، الفقه الإسلامي وأدلته، (ج: 1/ص: 657).

(4) الحجرات: 13.

(5) يُنظر: القرضاوي، العبادات في الإسلام، (ص: 243).

والمساواة تحقق الجانب الأخلاقي البارز فيها، بل إن العبادات كلها، ومنها: الصلاة كذلك، تلتقي عند الغاية التي رسمها النبي ﷺ (1). حيث قال ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ" (2).

وفي انتهاء هذا الفصل تبيين للباحث كم كان للصلاة من دور مهم في ترسيخ الأخلاق في كثير من الجوانب، سواء كانت اجتماعية أو تربوية، تعود على الفرد والمجتمع المسلم.

(1) يُنظر: الناصر، محمد، مقال بعنوان: *الارتباط الوثيق بين العبادة والأخلاق*، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، العدد:

46، غير محكم، 1991م، جمادي الآخرة - ديسمبر، مقال من ثلاث صفحات، من (40-44). دار المنظومة. (ص: 41).

(2) سبق تخريجه: ص: 19.

الفصل الثالث

أثر الأخلاق في الزكاة

وفيه: تمهيد، ومبحثان:

المبحث الأول: أثر الزكاة في أخلاق الفرد.

المبحث الثاني: أثر الزكاة في أخلاق المجتمع.

تمهيد

تعريف الزكاة

أولاً: الزكاة في اللغة:

الزكاة مصدر زكى، قال ابن فارس: "الزَّاءُ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى نَمَاءٍ وَزِيَادَةٍ"⁽¹⁾. يقال مثلاً: زَكَ الزرع يَزْكُو زَكَاءً، أي نَمَا وزاد⁽²⁾.

ومن خلال ما تبين من المعاني، فالأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما النماء والطهارة⁽³⁾.

قال ابن منظور: "وأصل الزَّكَاةِ فِي اللُّغَةِ الطَّهَارَةُ والنَّمَاءُ والْبِرْكَةُ والمَدْحُ وَكُلُّهُ قَدْ اسْتُعْمِلَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ"⁽⁴⁾.

ثانياً: الزكاة في الاصطلاح:

أ. الزكاة شرعاً:

الزكاة في الشريعة: حق يجب في المال، للفقراء ونحوهم⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج: 3/ص: 17 و 18). ويُنظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، (ج: 10/ص: 175). ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج: 14/ص: 358).

⁽²⁾ يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج: 3/ص: 17 و 18). ويُنظر: الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (ج: 6/ص: 2368). ويُنظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 380 و 381).

⁽³⁾ يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج: 3/ص: 17 و 18). ويُنظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، (ج: 10/ص: 175).

⁽⁴⁾ ابن منظور، لسان العرب، (ج: 14/ص: 358).

⁽⁵⁾ يُنظر: ابن قدامة المقدسي، المغني، (ج: 2/ص: 427). ويُنظر: الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي، (ت: 587هـ)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، (ط 2)، 7 مج. 1406هـ-1986م، (ج: 2/ص: 2).

و يُنظر أيضاً: البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس الحنبلي، (ت: 1051هـ)، كشاف القناع عن متن الإقناع، دار الكتب العلمية، 6 مج. (ج: 2/ص: 166). ويُنظر أيضاً: الجرجاني، كتاب التعريفات، (ص: 114).

قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾⁽¹⁾. قال الطبري: "الزكاة، فهو أداء الصدقة المفروضة... وإيتاؤها: إعطاؤها أهلها"⁽²⁾.

ب. من أسماء الزكاة: الصدقة:

يُراد بالصدقة: الزكاة، فقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾⁽³⁾.

لقد اختلف في المراد بالصدقة هنا فقليل: الزكاة المفروضة لمقارنتها بالصلاة، وقيل: صدقة الفطر. والقول الأول: هو قول أكثر العلماء، فالزكاة في القرآن الكريم مجملة بينها النبي ﷺ، ببعض أحاديثه الشريفة⁽⁴⁾.

وسميت الزكاة صدقة؛ لدلالاتها على الصدق في العبودية⁽⁵⁾. فعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الصدقة برهان"⁽⁶⁾.

والفرق بين الزكاة والصدقة: أن الزكاة لا تكون إلا فرضاً، والصدقة قد تكون فرضاً، وقد تكون نفلًا. والصدقة، هي: العطية يُبتغى بها المثوبة من الله تعالى⁽⁷⁾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تُبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾⁽⁸⁾. يحتملها⁽⁹⁾. والله أعلم.

(1) البقرة: 43.

(2) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 1/ص: 573 و574).

(3) التوبة: 103.

(4) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 1/ص: 344).

(5) يُنظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 480). ويُنظر أيضاً: التوحيدي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، دار أصداء المجتمع، المملكة العربية السعودية، (ط 11)، 1431هـ-2010م، (ص: 587).

(6) يُنظر: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، (ج: 1/ص: 203)، ح(223).

(7) يُنظر: الجرجاني، كتاب التعريفات، (ص: 132).

(8) البقرة: 271.

(9) يُنظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، (ت: نحو 395هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: بيت الله بيّات، ومؤسسة النشر الإسلامي، ومؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، (ط 1)، 1412هـ، (ص: 266). ويُنظر أيضاً: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 5/ص: 582-585).

ج. سبب تسمية الزكاة:

سميت الزكاة بذلك:

- 1- لأنها مما يُرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه⁽¹⁾.
 - 2- وقيل: سميت زكاة؛ لأنها طهارة له. وحجة ذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾⁽²⁾⁽³⁾.
 - 3- وقيل: لما يُخْرَجُ من المال للمساكين من حقوقهم؛ لأنه تطهيرٌ لِلْمَالِ وتتميرٌ وإصلاحٌ له ونماء⁽⁴⁾.
 - 4- وقيل: رجاء البركة أو لتزكية النفس، أي: تتميتها بالخيرات والبركات، أو لهما جميعاً، فإنّ الخَيْرين موجودان فيها⁽⁵⁾.
- وكل ما ورد ذكره صحيح، حيث أن الزكاة تنمي المال، وتزيده وتباركه وتطهره، وتطهر النفس وتزكيها.

(1) يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج: 3/ص: 17 و18).

(2) التوبة: 103.

(3) يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج: 3/ص: 17 و18).

(4) يُنظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، (ج: 10/ص: 175). ويُنظر أيضاً: النسفي، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين، (ت: 537هـ)، طلبية الطلبة، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، 1311هـ. (ص: 16). ويُنظر أيضاً: ابن منظور، لسان العرب، (ج: 14/ص: 358).

(5) يُنظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 380 و381).

المبحث الأول

أثر الزكاة في أخلاق الفرد

تحتوي فريضة الزكاة من الأخلاق، ما يعود على نفس المؤمن بالخير والصلاح، فهي تنمي به صفة الجود والكرم والسخاء، وتقويه آفة البخل وحب المال والاستئثار به، وسيتبين هذا من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الزكاة تطهر النفس وتزكّيها وتشرحها:

الزكاة تطهر نفس المزكّي والمزكّي عليه، وتزيد من أخلاقهما، فهي تعود على النفس بالصلاح والخير العميم. وذلك من خلال:

أولاً: الزكاة تطهر نفس المزكّي:

الزكاة تزكّي أخلاق المزكّي، وتعلمه الإيثار والكرم والسخاء على الفقراء والمساكين؛ لأن الإنسان مجبول على حب المال، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾⁽¹⁾. وسبحانه: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾⁽²⁾.

فالزكاة تطهر نفسه من الشح، والبخل، والجشع، وحب الذات والمال، كما بين القرآن الكريم ذلك، فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽³⁾.

إن الإيثار والجود ضد الشح، فإن المؤثر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه، والشحيح: حريص على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شيء شح عليه، وبخل بإخراجه، فالبخل ثمرة الشح، والشح يأمر بالبخل⁽⁴⁾.

(1) التوبة: 103.

(2) الفجر: 20.

(3) الحشر: 9.

(4) يُنظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ج: 2/ص: 277).

البخل: من أجاب داعي الشح. والمؤثر: من أجاب داعي الجود والكرم، كذلك السخاء والزهد عما في أيدي الناس.

والنبي ﷺ ذم الشح والبخل، وما يؤدي إليهما، من تقاطع وفجور، ففي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ، فقال: "إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا"⁽¹⁾.

البخل يؤول إلى هذه الأخلاق المذمومة، والشيم اللثيمة، وإذا آل لها، لم يبق معها خير مرجو ولا صلاح مأمول⁽²⁾.

الزكاة تنتشل المؤمن من زمرة البخلاء، وتدخله في زمرة الكرماء الأسخياء؛ لأنه إذا عود نفسه على البذل، أي بذل: سواء بذل علماً، أو بذل مالاً، أو جاه، صار ذلك البذل سجية له وطبيعة حتى إنه يتكدر صفوه، إذا لم يكن قد بذل ما اعتاده، كصاحب العمل الذي اعتاد صاحبه، فإنه إذا كان ذلك اليوم متأخراً عن عمله يضيق صدره، وكذلك الذي عود نفسه على الكرم، يضيق صدره إذا فات يوم من الأيام، لم يبذل فيه ماله أو جاهه⁽³⁾.

ثانياً: الزكاة تطهر وتزكي نفس المزكى عليه:

المزكى عليه، هو: الفقير الذي يأخذ الصدقة والزكاة، والمُعطى إياها، فيشعر بالاهتمام، والعطف والحنو تجاهه، وترضى نفسه وتطيب خاطراً بذلك، ويكون له حافزاً على فعل الخير والجود والسخاء، وينعكس ذلك على نفسه، تجاه من هو أفقر منه حالاً، فتقع المحبة في نفسه ناحية من هو أغنى منه، وتسود الألفة والتأخي بينهما، ولا يعود يخشى الفقر وقلة الأنفاق، لأنه

(1) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، (ج: 11/ص: 398)، ح(6792). قال محققو المسند: حديث صحيح. وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في الشح، (ج: 2/ص: 133). ح(1698). وأورده: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج: 1/ص: 521)، ح(2672). وقال الألباني: صحيح.

(2) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 5/ص: 406).

(3) يُنظر: ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، (ت: 1421هـ)، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، (ط 1)، 1422-1428 هـ، 15 مج. (ج: 6/ص: 7).

يعلم بأن أخوته في مساعدته، يأدون حق الله تعالى في أموالهم.

حيث أن نفسه تعبت من الحرمان وقلة ذات اليد، والفقير، فقال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾⁽¹⁾. والسائل معروف، وهو الذي يبتدئ الناس بالسؤال لحاجته وفقره وفاقته، وعوزه للمال وما يكفيه، وكذلك المحروم، الذي لا يسأل الناس شيئاً، ولا سهم له في بيت المال، ولا كسب له، ولا حرفة يتقوت منها⁽²⁾.

هؤلاء الفقراء والمحتاجون، الزكاة تواسيهم، وتدخّل السعادة على قلوبهم، كما قال ابن تيمية: "... شرعت للمواساة ولا تكون المواساة إلا فيما له مال من الأموال"⁽³⁾.

والله تبارك وتعالى، نهى عن زجر السائل والمحتاج واليتيم، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ⁽⁴⁾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ⁽⁴⁾﴾.

الزكاة تطهر نفس الفقير من الغل، والحسد، وضيق الصدر، وغير ذلك من الآفات، والأحقاد الدفينة⁽⁵⁾، فهي جسر قوي يربط بين الأغنياء والفقراء، فتصفو النفوس، وتطيب القلوب، وتنشرح الصدور، وينعم الجميع بالأمن، والمحبة، والأخوة⁽⁶⁾.

والخلاصة: أن يعلو الإنسان بنفسه عن المال، ليكون سيدياً له لا عبداً. وتطهر نفس المعطي والآخذ على السواء.

فليس الهدف من أخذ الزكاة جمع المال وإنفاقه على الفقراء والمحتاجين فحسب، بل الهدف الأول أن يعلو بالإنسان عن المال، ومن هنا جاءت الزكاة لتزكي المعطي والآخذ وتطهرهما⁽⁷⁾.

(1) الذاريات: 19.

(2) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 7/ص: 418 و419).

(3) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج: 25/ص: 8).

(4) الضحى: 9-10.

(5) يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 101).

(6) يُنظر: التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، (ص: 589). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، العبادة في

الإسلام، (ص: 273 و274).

(7) يُنظر: التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، (ص: 588).

ثالثاً: الزكاة تشرح نفس المؤمن:

الزكاة تشرح الصدر، فالمسلم إذا أحسن إلى الخلق، ونفعهم بما يقدر عليه من المال، وأنواع الإحسان انشرح صدره؛ فالكريم المحسن أشرح الناس صدرًا، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي لا يحسن إلى الخلق أضيق الناس صدرًا، وأنكدهم عيشاً، وأكثرهم همماً وغمماً⁽¹⁾.

إن العمل الصالح يشرح الصدر، وينيره بنور الإيمان والتقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾⁽²⁾، وبانشرح صدر المؤمن يصير واسع الصدر، لين الجانب، طيب التعامل مع الآخرين.

المطلب الثاني: الزكاة تعلم الكرم والجود:

الزكاة تعلم وتعود نفس المؤمن على الكرم، والإيثار، والسخاء، والبذل، والجود، والكرم، وغير ذلك من خصال الخير، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽³⁾.

إن إثارة الغير على النفس رغم الحاجة الماسة، تعزيز للأخلاق الكريمة النبيلة في النفس، وترسيخ لها، وخاصة خلق الكرم والسخاء، يقول ابن كثير: "يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك"⁽⁴⁾.

المؤمنون الصادقون الذين هذبت نفوسهم بالإيمان والأخلاق الفاضلة، ينفقون المال ويؤدون زكاته رغم محبتهم له، فقال تعالى عن من كانت حالته كذلك: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي

⁽¹⁾ يُنظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، (ط 27)، 5 مج. 1415 هـ / 1994م، (ج: 2/ص: 24 و 25).

⁽²⁾ الأنعام: 125.

⁽³⁾ الحشر: 9.

⁽⁴⁾ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 8/ص: 70).

الْفُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴿١﴾. على حبه، أي: أنفق المال وأعطاه في حين محبته إياه، وضمه به، وشحّه وبخله عليه وقد يكون على حاجته له (2).

الزكاة تُعوِّدُ المسلم على خُلُقِ الجود والكرم، والعطف والحنو على المساكين وذوي الحاجات؛ والرحمة والرأفة على الفقراء (3). وهذه من أخلاق الإسلام النبيلة التي حث عليها، فوجب على المؤمن أن يشكر ربه جلّ في علاه على ذلك، فهو سبحانه الذي أنعم عليه بالمال والخير، وإن النفقة والزكاة من شكر الله على نعمه العظيمة، في إغداق المال على عباده.

فبالشكر تزيد النعم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (4). بل إن الزكاة وجبت شكراً لنعمة المال (5).

المطلب الثالث: الزكاة تنزع الخوف من قلب المؤمن، وتزيد محبة الله سبحانه في قلبه:

أولاً: الزكاة تنزع الخوف من قلب المؤمن:

الزكاة تنزع خُلُقِ الخوف من قلب المؤمن، فلا يعود يخشى الفقر وقلة المال، في إنفاقه، ولا يلفت إلى وساوس الشيطان، يقول تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (6).

إن الشيطان يخوف الإنسان بالفقر إذا أنفق، وأنه له مدخل في التثبيط للإنسان عن الإنفاق في سبيل الله، وهو مع ذلك يأمر بالفحشاء والمعاصي والإنفاق فيها، وبأن لا تتصدقوا فتعصوا وتتقاطعوا، والله تعالى وعد بالمغفرة، وهي: الستر على عباده في الدنيا والآخرة. وبالفضل،

(1) البقرة: 177.

(2) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 3/ص: 340).

(3) يُنظر: الفحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ومنزلة، وجكّم، وفوائد، وأحكام، وشروط، ومسائل، مركز الدعوة والإرشاد بالقصب، (ط 3)، 1431 هـ - 2010 م (ص: 29). ويُنظر أيضاً: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 101). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 273 و 274).

(4) إبراهيم: 7.

(5) يُنظر: القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، (ت: 684 هـ)، الذخيرة، المحقق: محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خيزة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، (ط1)، 14 مج. 1994م، (ج: 3/ص: 7).

(6) البقرة: 268.

وهو: الرزق في الدنيا، والتوسعة والنعيم في الآخرة⁽¹⁾.

قال ابن القيم: "فذكر سبحانه وعد الشيطان وأمره يأمرهم بالشر ويخوفهم من فعل الخير، وهذان الأمران هما جماع ما يطلبه الشيطان من الإنسان فإنه إذا خوفه من فعل الخير تركه، وإذا أمره بالفحشاء وزينها له ارتكبها، وسمى سبحانه تخويفه وعد الانتظار الذي خوفه إياه كما ينتظر الموعود ما وعد به ثم ذكر سبحانه وعده على طاعته، وامتنثال أوامره واجتتاب نواهيه، وهي المغفرة والفضل، فالمغفرة: وقاية الشر، والفضل: إعطاء الخير⁽²⁾."

يُفهم مما سبق أن الزكاة تجعل المؤمن موقناً بفضل الله تبارك وتعالى، متوكلاً عليه، وذلك:

1- لأن الزكاة تُعوِّدُ النفس على البذل والسخاء، وهذه أخلاق تعلو على الخوف وضعف الإيمان وآفات القلوب.

2- الله تبارك وتعالى أثنى وأثاب المنفقين والمتصدقين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾⁽³⁾. فيطمع المؤمن بالثواب.

3- يخلف الله من فضله على من تصدق بماله، وهذا يؤدي للتوكل على الله:

أ. فقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾⁽⁴⁾.

ب. ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانُ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا"⁽⁵⁾.

(1) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 3/ص: 328 و329).

(2) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، إغاثة اللهفان من مصاديق الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2 مج. (ج: 1/ص: 107).

(3) المؤمنون: 4.

(4) سبأ: 39.

(5) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: {فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى} [الليل: 6] «اللهم أعط منفق مال خلفاً»، (ج: 2/ص: 115)، ح(1442). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين، (ج: 2/ص: 700)، ح(1010).

هذا كله جدير بنزع الخوف من قلب المؤمن المُركي، وإحلال الأمان والاطمئنان مكانه،
فالخوف خلق سيء، وضعف في قلب المؤمن.

الزكاة وإن كان في ظاهرها نقص في كمية المال، إلا أن من آثارها زيادة المال وبركة فيه،
وزيادة الإيمان في قلب صاحبها، وزيادة في خُلقه الكريم، فهي بذل وعطاء محبوب إلى النفس من
أجل محبوب أعلى منه، وهو إرضاء ربه سبحانه، والفوز بجنته⁽¹⁾.

ثانياً: الزكاة تزيد محبة الله سبحانه في قلب المؤمن:

الزكاة تزيد حب الله تبارك وتعالى في قلب المؤمن، وتزيد الإيمان في قلوب المتصدقين،
فهي فريضة كغيرها من الفرائض، التي تؤدي ابتغاء مرضاة الله. وإذا ازداد حبه جلّ وعلا،
والإيمان به، كان هذا مرسخاً للأخلاق الكريمة، فهو يبذل المال المحبب إلى النفس من أجل
محبوب أعلى منه، وهو الله تبارك وتعالى، فالإنسان يحب المال، قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ
الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾⁽³⁾. فالغاية في الزكاة هي إرضاء الله سبحانه،
والفوز بجنته⁽⁴⁾. وبازدياد المحبة لله والإيمان في القلب، تتضاءل الأخلاق السيئة، وتتعمق لأخلاق
الفاضلة الحميدة.

الله تبارك وتعالى، نَمَّ من يقدم حب غيره على حبه سبحانه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ
آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا
وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾⁽⁵⁾.

(1) يُنظر: التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، (ص: 589). ويُنظر: القرضاوي، العبادة في
الإسلام، (ص: 275).

(2) آل عمران: 14.

(3) الفجر: 20.

(4) يُنظر: التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، (ص: 589).

(5) التوبة: 24.

إن أصل العبادة: محبة الله، وإفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها، فهي إنما تتحقق باتباع أمره، واجتناب نهيه، فعند اتباع الأمر واجتناب النهي تتبين حقيقة العبودية والمحبة، ولهذا جعل تعالى اتباع رسوله علماً عليها، وشاهداً لمن ادعاها، فقال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾. فجعل اتباع رسوله مشروطاً بمحبتهم لله، وشرطاً لمحبة الله لهم، ودل على أن متابعة الرسول ﷺ هي حب الله ورسوله، وطاعة أمره، ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، فلا يكون عنده شيء أحب إليه من الله ورسوله، ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفره الله لصاحبه البتة⁽²⁾.

المال فتنة يغوي النفوس والصدور، فمن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ عَنِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ الْمَالَ وَيَعْبُدُونَهُ: "تَعَسَّ عَبْدُ الدَّيْنَارِ، وَالدَّرْهَمِ... إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ"⁽³⁾. وأداؤها يروض النفس على عدم التعلق به، بل بمحبة الله الواهب الرازق، فيبتغي بذلك مرضاته وفضله.

المطلب الرابع: النهي عن خلق المن والأذى، عند أداء الزكاة والصدقة:

قد حذر الله تبارك وتعالى، من الخُلُقِ السَّيِّئِ الذي يتبع الصدقة والزكاة، فيبطلها ويحبط أجرها وثوابها، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ⁽⁴⁾.

والمنّ هو: أن الغني إذا أعطى الفقير ماله، فإنه يتكبر عليه من أجل إعطائه. والأذى: أن ينتهره ويوبخه بالمسألة والفقير. والآية تقرر: أن الصدقة التي يتبعها الأذى، لا ضرورة لها،

(1) آل عمران: 31.

(2) يُنظر: ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (ج: 1/ص: 119).

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، (ج: 4/ص: 34). ح(2886).

(4) البقرة: 263-264.

وأولى منها الكلمة الطيبة، فالكلمة الطيبة تضمد جراح القلب، وتملأه رضىً وبشاشةً ومغفرةً، وتغسل أحقاد النفوس، ويحل محلها الإخاء والصدقة والمحبة⁽¹⁾.

والنفس البشرية لا تمن بما أعطت، إلا رغبةً في الاستعلاء الكاذب، أو رغبةً في إذلال الآخذ، أو رغبةً في لفت أنظار الناس. فالتوجه إذاً للناس لا لله سبحانه بالعطاء⁽²⁾.

وهذه المشاعر لا محل لها في القلب الطيب، فالمنّ يحول الصدقة أذىً للواهب وللآخذ على السواء. فهي: أذىً للواهب بما يثير في نفسه من كبر وخيلاء، ورغبةً في رؤية أخيه ذليلاً له كسيراً لديه، وبما يملأ قلبه بالإنفاق والرياء والبعد من الله، وأذىً للآخذ بما يثير في نفسه من انكسار وانهازام، وما يترتب على هذا الشعور من حقد على المجتمع، والرغبة في الانتقام، والإسلام لم يرد بالإنفاق مجرد سد الخلة والحاجة، وملء البطن فقط، إنما أرادته تهذيباً وتزكيةً وتطهيراً لنفس المعطي، واستجاشةً لمشاعره الإنسانية وارتباطه بأخيه الفقير في الله، وفي الإنسانية، وتذكيراً له بنعمة الله عليه، وعهده معه في هذه النعمة أن يأكل منها من غير سرف ولا مخيلة، وأن ينفق منها في سبيل الله في غير منع ولا من⁽³⁾.

في الإنفاق ترضية لنفس الآخذ، ورضٌ لصفوف المجتمع، وإظهار لتماسكه ووحدته، لما في الصدقة من التكافل والتعاون؛ ليقوم على أساس من التكافل والتعاون، أما المنّ فإنه يذهب بهذا كله، ويحول الإنفاق سمّاً قاتلاً وناراً محرقة. فهو أذىً وإن لم يصاحبه أذىً آخر باليد. يحق الإنفاق، ويمزق المجتمع، ويثير الضغائن والأحقاد بين الناس⁽⁴⁾.

فالقول المعروف والمغفرة يؤديان الوظيفة الأولى للصدقة، من تهذيب للنفوس وتأليف للقلوب، لأن الصدقة التي هي الزكاة، ليست تفضلاً من المانح على الآخذ، وإنما هي فرض الله تعالى، فعقب الله عليه بقوله: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾⁽⁵⁾، أي: غني عن الصدقة المؤذية، حلِيم

(1) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، (ج: 1/ص: 308).

(2) يُنظر: المرجع السابق، (ج: 1/ص: 307).

(3) يُنظر: المرجع السابق، (ج: 1/ص: 307).

(4) يُنظر: المرجع السابق، (ج: 1/ص: 307).

(5) البقرة: 263.

يعطي عباده الرزق فلا يشكرون⁽¹⁾.

وقد مدح الله تبارك وتعالى، وأثنى على الذين ينفقون في سبيله الصدقات والزكاة بطيب نفس، وأدب وخلق رفيع، فوعدهم الثواب العظيم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾⁽²⁾. فلا يمتنون، ولا يتبعون ما أنفقوا على أحد بقول ولا فعل يحزنهم أو يخرجهم⁽³⁾.

ويُلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. الصدقة التي فيها المنّ والأذى، لا يقبلها الله تبارك وتعالى.
2. المنّ والأذى من الأخلاق الرديئة.
3. نهى الله تعالى عن المنّ والأذى، وأمر بالقول المعروف والمغفرة.
4. أعدّ الله تعالى للذين لا ينفقون أموالهم بخُلق المنّ والأذى الثواب العظيم.

⁽¹⁾ يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، (ج: 1/ص: 308).

⁽²⁾ البقرة: 262.

⁽³⁾ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 1/ص: 693).

المبحث الثاني

أثر الزكاة في أخلاق المجتمع

أثر الزكاة بالأخلاق يعود على المجتمع المسلم بالخير والصلاح، فهي تربي فيه روح الإخاء، وتجعله قوياً متماسكاً، وسيظهر هذا من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الزكاة تعزز المحبة في المجتمع وتقويه:

أولاً: تعزيز المحبة فيه:

قد أمر الله عزّ وجلّ بالصدقة على الأقارب والمحتاجين في أكثر من موضع في كتابه الكريم؛ لما في الصدقة من تقوية الصلات، وتوثيق أواصر القرى والمحبة بينهم، ونزع ما في قلوبهم من الضغائن والأحقاد. وهذا كله من الأخلاق الحميدة التي حثّ الإسلام عليها.

قال تعالى: ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾. وقال جلّ جلاله: ﴿وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾⁽²⁾.

الزكاة تعزز أواصر المحبة بين الغني والفقير والأقارب؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها⁽³⁾.

إن الزكاة تبني جسراً قوياً يربط بين الأغنياء والفقراء، فتصفوا النفوس، وتطيب القلوب والصدور، وينعم الجميع بمحبة وأخوة، وأمن وبركة وقوة⁽⁴⁾. وكل هذا من ثمار الزكاة التي تزكي النفس والمال، وتعزز المحبة في المجتمع بين كافة طبقاته وصنوفه.

(1) الروم: 38.

(2) الإسراء: 26.

(3) يُنظر: الفحطاني، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 29).

(4) يُنظر: التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، (ص: 589). ويُنظر أيضاً: شلتوت، الإسلام عقيدة وشرعية، (ص: 101).

ثانياً: الزكاة تجعل المجتمع المسلم قوياً و متماسكاً:

المجتمع المسلم كالأسرة الواحدة المتماسكة، يرحم القوي فيه الضعيف، والغني الفقير، فيصبح المجتمع كالأسرة الواحدة، ويشعر صاحب المال بوجوب الإحسان إلى الفقراء، وهو شعوره بفضل الله عليه ومنته العظيمة، ومن هنا جاء توكله على الله، فيحسن كما أحسن الله إليه⁽¹⁾.

قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾⁽²⁾. أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن الله تبارك وتعالى إليك⁽³⁾.

فهذا المال هبة من الله وإحسان، فليقابل بالإحسان فيه، إحسان التقبل وإحسان التصرف، والإحسان به إلى الخلق، وإحسان الشعور بالنعمة، وإحسان الشكران⁽⁴⁾.

في المقابل يشعر الفقير بوجوب الإحسان للغني الذي أحسن إليه، فجزاء الإحسان: الإحسان، كما قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾⁽⁵⁾. وهكذا تصبح الأمة الإسلامية كأنها عائلة واحدة، فيصان المجتمع ويقوى⁽⁶⁾.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. أمر الله تعالى بإيتاء وصلة الأقارب والمحتاجين.

2. المحبة تعزز الأواصر في المجتمع.

3. الزكاة تجعل المجتمع لحممة واحدة.

(1) يُنظر: القحطاني، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 32). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 273-274).

(2) القصص: 77.

(3) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 6/ص: 254).

(4) يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، (ج: 5/ص: 2711).

(5) الرحمن: 60.

(6) يُنظر: القحطاني، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 32).

المطلب الثاني: الزكاة تطفئ ثورة الغضب في نفوس الفقراء، وتقضي على الجرائم والفقير:

أولاً: الزكاة تهدئ النفوس:

الزكاة تطفئ الثورة في نفوس وقلوب الفقراء؛ لأن الفقير قد يغضب، لما يرى من تنعم الأغنياء بما هو محروم فيه، فإذا جاد الأغنياء على الفقراء، كسروا ثورتهم وهدؤوا غضبهم⁽¹⁾.

قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾⁽²⁾. فإن لم يجد المحروم والمحتاج من يعطيه حقه، ولم يجد الجائع ما يسد جوعه، فإن ذلك يؤدي إلى أخطار وثورات تهدد أمن المجتمع المسلم، كما هو مشاهد اليوم.

تشكل ثورة الفقراء وفاقنتهم، خطراً يهدد أمن المجتمع واستقراره، فتعم البلوى والمحن والنكبات، وما لا فيه نفع ولا صلاح على المجتمع الإسلامي بأسره⁽³⁾.

ثانياً: القضاء على الجرائم وحفظ الأموال:

نهى الإسلام عن الجرائم التي من شأنها أن تقوض دعائم المجتمع، كالقتل والبطش، والسرقه والسلب والنهب وغير ذلك، فنهى عن القتل حفاظاً على النفس، قال تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁽⁴⁾.

ونهى عن السرقة حفاظاً على المال، فقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾⁽⁵⁾.

ونهى سبحانه عن الفساد في الأرض، وتخويف الناس وسلب مالهم بغير وجه حق، فقال

(1) يُنظر: القرضاوي، العباداة في الإسلام، (ص: 273 و274).

(2) الذاريات: 19.

(3) يُنظر: شلتوت، محمد، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 101). ويُنظر أيضاً: نصيف، أخلاقنا في الميزان، (ص: 41).

(4) الأنعام: 151.

(5) المائدة: 38.

تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣٣) (١).

إن عدم تأدية الزكاة يؤدي إلى وقوع كل هذه الجرائم، من القتل والنهب والسرقات، وغير ذلك من الجرائم الأخرى، التي سعى الإسلام في منعها والنهي عنها. فمثل هذه الآفات، تقمع الأخلاق والمروءة، وتعود على المجتمع بالشر والوبال والويلات.

الزكاة تعين الفقراء والمحتاجين، وتأخذ بأيديهم؛ لاستئناف العمل والنشاط إن كانوا قادرين على العمل، وتساعدهم على ظروف العيش الكريم إن كانوا عاجزين، فتحمي المجتمع من مرض الفقر، وتحفظ الدولة من الإرهاق والضعف. والجماعة مسؤولة بالتضامن عن الفقراء وكفايتهم (٢). وهكذا تُحفظ الأموال وتنمو وتزدهر، ويُحفظ المجتمع ويصان من هذه الجرائم، ويصبح قوياً متماسكاً (٣).

والزكاة مقدرة تقديراً محكماً بعناية إلهية، فهي تعود بالمصلحة على المجتمع، فلولا التقدير المحكم فيها والمنتقن، لفرط المفرط ولاعتدى المعتدي، ولوقع المحذور وما لا يحمد عقابه (٤).

فلأسف كما هو مشاهد اليوم، فبسبب عدم تأدية الزكاة، كثرت الجرائم والسرقات والسلب والنهب في كل مكان بسبب الحرمان والفقر، وجفوة الأغنياء، حتى إن عدم تأديتها قد يؤدي إلى القتل في بعض الأحيان، بسبب المال، والنفوس المريضة التي اعتمل فيها حب المال، وعدم الشفقة والرحمة.

(١) المائدة: ٣٣.

(٢) يُنظر: القرضاوي، العبادات في الإسلام، (ص: 273 و 274). ويُنظر أيضاً: نصيف، أخلاقنا في الميزان، (ص: 41).

(٣) يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 101). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، العبادات في الإسلام، (ص: 273 و 274).

(٤) يُنظر: الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور الشاه ولي الله الدهلوي، (ت: 1176هـ)، حجة الله البالغة، تحقيق: السيد سابق، دار الجليل، بيروت - لبنان، (ط 1)، 1426هـ-2005م، مجلدان، (ج: 2/ص: 61).

إن الشح والبخل يؤدي لسفك الدماء، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ، قال: "اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَانْقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ"⁽¹⁾.

ثالثاً: الزكاة تقضي على الفقر:

الزكاة نظام فريد يعالج مشكلة الفقر كافة؛ حتى لا يبقى المال بيد الأغنياء دون غيرهم، بل يكون متداولاً بين الناس جميعاً.

الله سبحانه وتعالى قضى وأمر بالمال أن يقسم بين مستحقه، فلا يبقى مأكلاً يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها، بمحض الشهوات والآراء، ولا يصرفون منه شيئاً إلى الفقراء والمساكين المحتاجين المعوزين⁽²⁾.

يقول تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾⁽³⁾. قال الطبري: "كيلا يكون ذلك الفئء دولة يتداوله الأغنياء منكم بينهم، يصرفه هذا مرة في حاجات نفسه، وهذا مرة في أبواب البرِّ وسبُل الخير، فيجعلون ذلك حيث شاءوا، ولكننا سننا فيه سنة لا تُغير ولا تُبدل"⁽⁴⁾.

إن الله يكره أن يظلَّ المال دولةً بين الأغنياء. وإن كان الغنى وصفاً مباحاً فلا يجوز وقفه على الأغنياء؛ وعلى قياسه سائر الصفات المباحة؛ ولأن العمل إذا لم يكن قربةً لم يكن الواقف مثاباً على بذل المال فيه، فيكون قد صرف المال فيما لا ينفعه؛ لا في حياته ولا في مماته ثم إذا لم يكن للعامل فيه منفعة في الدنيا؛ كان تعذيباً له بلا فائدة تصل إليه؛ ولا إلى الواقف؛ ويشبه ما كانت الجاهلية تفعله⁽⁵⁾.

لقد حثَّ الله تعالى على إعطاء الفقراء؛ لمساعدتهم، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

(1) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، (ج: 4/ص: 1996)، ح(2578).

(2) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 8/ص: 67).

(3) الحشر: 7.

(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 23/ص: 279).

(5) يُنظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج: 4/ص: 502).

أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ (1).

وتوعّد الذين يكتزون المال ولا يؤدون حق الله تعالى فيه، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (2).

فالزكاة في الإسلام ليست تبرعاً، يفضل به غني على فقير، أو يحسن به إلى معدوم. بل هو جزء هام من نظام الإسلام الاقتصادي، فهذا النظام الفريد الذي عالج مشكلة الفقر والمال بوجه عام، قبل أن تعرف الدنيا نظاماً اعتنى بعلاج هذا الجانب الخطير من حياة الإنسان (3).

إن الزكاة وسيلة من وسائل القضاء على الفقر، فإن الإسلام يأبى أن يوجد في المجتمع، من لا يجد القوت الذي يكفيه والثوب الذي يواريه ويكسيه، والمسكن الذي يؤويه، فهذه الضروريات يجب أن تتوافر لكل فرد يعيش في ظل الإسلام (4).

وهذا فيه من الأخلاق النبيلة ما فيه، ومنها: الرحمة، والرأفة، والإحسان، والبر، والتعاون، وتقديم العون للناس والخلق.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. الزكاة تطفئ ثورة الغضب في نفوس الفقراء.
2. الزكاة تحمي المجتمع من الجرائم، والخروج على الأخلاق الحميدة.
3. الزكاة تحمي المجتمعات من الفقر.

(1) الحشر: 8.

(2) التوبة: 34-35.

(3) يُنظر: القرضاوي، العبادات في الإسلام، (ص: 253).

(4) يُنظر: نصيف، أخلاقنا في الميزان، (ص: 42). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، العبادات في الإسلام، (ص: 259). ويُنظر أيضاً: قطب، في ظلال القرآن، (ج: 1/ص: 304).

المطلب الثالث: الزكاة تمنع الفوضى:

لقد أعطى الإسلام الحق للسلطان والدولة، في توزيع أموال الزكاة والصدقات⁽¹⁾، حتى لا تقع الفوضى.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾⁽²⁾. فالأمر هنا للنبي ﷺ، ومن بعده، بأخذ أموال الصدقة، التي هي الزكاة.

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقةً يطهرهم ويزكيهم بها، وهذا عام وإن أعاد بعضهم الضمير في "أموالهم" إلى الذين اعترفوا بذنوبهم وخطأوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً؛ ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة من أحياء العرب، أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون، وإنما كان هذا خاصاً برسول الله ﷺ؛ ولهذا احتجوا بقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾. وقد ردّ عليهم هذا التأويل والفهم الفاسد: الصديق أبو بكر وسائر الصحابة رضوان الله تعالى عليهم جميعاً، وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة إلى الخليفة، كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ، حتى قال الصديق: والله لو منعوني عقلاً، وفي رواية: عناقاً، يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لأقاتلنهم على منعه⁽³⁾.

لقد كان النبي ﷺ يتولى جمع الصدقات بنفسه، ويوكل عماله بجمع الصدقات، ولقد أرسل معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن قاضياً ووالياً، وأمره بجمع الزكاة⁽⁴⁾.
وقام أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خليفة المسلمين، بقاتل مانعي الزكاة، حين امتنعوا عن تأدية الزكاة له⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ يُنظر: القرضاوي، يوسف، *فقه الزكاة*، مؤسسة الرسالة، (ط 2)، 1393 هـ-1973 م، مجلدان، (ص: 756). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، *العبادة في الإسلام*، (ص: 275).

⁽²⁾ التوبة: 103.

⁽³⁾ يُنظر: ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، (ج: 4/ص: 207).

⁽⁴⁾ (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، (ج: 2/ص: 128). ح(1496). وأخرجه: مسلم، *صحيح مسلم*، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، (ج: 1/ص: 50)، ح(19). واللفظ للبخاري. عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

⁽⁵⁾ (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، *صحيح البخاري*، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، (ج: 2/ص: 105). ح(1399). وأخرجه: مسلم، *صحيح مسلم*، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، (ج: 1/ص: 51)، ح(20). عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال ابن حجر: "استدل به على أن الإمام هو الذي يتولى قبض الزكاة وصرّفها إما بنفسه وإما بنائبه فمن امتنع منها أخذت منه قهراً"⁽¹⁾.

ففي ذلك يأخذ الفقير حقه من الدولة أو السلطان الحاكم، حيث كلّفا بذلك. ولا يأخذ حقه من الشخص الغني، لعدة أسباب منها⁽²⁾:

1- حفظ لكرامته وصيانة لماء وجهه، أن يُراق بالسؤال إلى صاحب المال، ورعاية لمشاعره، من أن تُجرح بالمنّ والأذى.

2- إن كثيراً من الناس والأفراد، قد ينقص لديهم الوازع الديني في قلوبهم، وتموت الضمائر في صدورهم، فلا ضمان للفقير إذا ترك حقه لهؤلاء.

3- وإذا تُرك هذا الأمر للأفراد فستعم الفوضى العارمة، فقد ينتبه أكثر أو بعض الأغنياء لإعطاء الفقير، في حين يغفلوا عن آخرين، فلا يفتن له أحد، وربما كان أشد فاقةً وقرراً وعوزاً.

ويُلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. أعطى الإسلام الحق للسلطان، في توزيع أموال الزكاة والصدقات.
2. من الأغنياء من لا يؤدي الحق في ماله، إلا إذا أخذت منه بالقوة.
3. في تكفل الحاكم أخذ الزكاة، وإعطائها الفقراء: حفظ لحقوقهم وكرامتهم.

⁽¹⁾ ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 13 مج. (ج: 3/ص: 360).

⁽²⁾ يُنظر: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 256 و275). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، فقه الزكاة، (ص: 756).

المطلب الرابع: الآثار المترتبة على تأدية الزكاة، والامتناع عنها، ومنها:

أولاً: الصدقة تكف عن رذائل الأخلاق، وكبائر الذنوب:

تكبح الصدقة جماح النفس عن مساوئ الأخلاق، والذنوب الكبيرة⁽¹⁾، كالسرقة، والزنا، والشح، والتبذير، وغير ذلك.

جاء هذا في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ، قال عن الرجل الذي تصدق، فقال ﷺ: "قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ عَلَى سَارِقٍ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِي زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى زَانِيَةٍ؟ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ، فَوَضَعَهَا فِي يَدِي غَنِيِّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصَدِّقَ عَلَى غَنِيِّ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيِّ، فَأَتَيْتِي فَقِيلَ لَهُ: أَمَا صَدَقْتِكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّه أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أَنْ تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَا الْغَنِيُّ فَلَعَلَّه يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ"⁽²⁾.

فتبين من كلامه ﷺ: أن الصدقة تمنع السارق عن سرقاته، والزانية عن زناها، والغني أن يترك بخله وشحّه. وهذا من ثمار الصدقة، في تركية النفس بالأخلاق، على الفرد والمجتمع.

لذلك حث النبي ﷺ على الصدقة، فقال: "«عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»»، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ» قَالَوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ» قَالَوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»"⁽³⁾.

وكل ما في الحديث الشريف، يدل على مكارم الأخلاق، في مساعدة ذي الحاجة

(1) يُنظر: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 54 و 55).

(2) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب إذا تصدق على غني وهو لا يعلم، (ج: 2/ص: 110). ح(1421). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، (ج: 2/ص: 709)، ح(1022). واللفظ للبخاري.

(3) البخاري، صحيح البخاري،، كتاب الزكاة، باب: على كل مسلم صدقة، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف، (ج: 2/ص: 115). ح(1445). سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن جده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والملهوف ونشر الخير، والكف عن الشر والإمساك عنه.

وحث القرآن الكريم على الصدقة في مواضع كثيرة، ونهى عن الشح والبخل كما تقدم، ونهى عن التبذير والإسراف. فقال تعالى: ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾⁽¹⁾.

إن التبذير من الأخلاق الممقوتة في الإسلام، فهو من أخلاق وعمل الشيطان، ويؤدي إلى إضاعة المال في غير وجه حق، وفي غير مكانه. بل أمر الله بالتوسط، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٢٧﴾﴾⁽³⁾.

دين الله بين من يغالي فيه ويجافي عنه. وخير الناس على النمط الأوسط، الذين ارتفعوا عن تقصير المفرطين، ولم يلحقوا بغلو المعتدين، وقد جعل الله سبحانه هذه الأمة وسطاً، وهي الخيار العدل، لتوسطها بين الطرفين المذمومين، والعدل هو الوسط بين طرفي الجور والتفريط. وخيار الأمور أوسطها⁽⁴⁾.

الزكاة والصدقة تكف عن رذائل الأخلاق، وكبائر الذنوب، وتهذب النفس وتزكيها على فعل الخير، والبعد عن الآفات والمساوي.

ثانياً: الامتناع عن الزكاة والصدقة مناقض لمكارم الأخلاق:

نهى الإسلام عن الامتناع عن أداء الصدقة، وندب إلى التحلي بالأخلاق الحميدة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ

(1) الإسراء: 26-27.

(2) الإسراء: 29.

(3) الفرقان: 67.

(4) يُنظر: ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، (ج: 1/ص: 182). ويُنظر أيضاً: ابن كثير، تفسير القرآن

العظيم، (ج: 5/ص: 68).

اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ (1).

وهذه الآية نزلت في الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حين حلف ألا ينفع مسطح بن أثاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنافعة أو أن يعطيه شيئاً من المال، بعدما قال في عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ما قال في حادثة الإفك، كما في حديث الإفك (2). وأنزل الله براءة أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت، وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين في ذلك، وأقيم الحد على من أقيم عليه (3).

فكان الصديق يعطف على قريبه ونسيبه، وهو: مسطح بن أثاثة، فإنه كان ابن خالة الصديق، وكان مسكيناً لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر، وكان من المهاجرين في سبيل الله، وقد زل زلةً تاب الله عليه منها، وضرب الحد عليها. وكان الصديق معروفاً بالمعروف، له الفضل والأيدي على الأقارب والأجانب. فلما نزلت هذه الآية ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ...﴾، إلى قوله: ﴿...أَلَّا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (4). أي: فإن الجزاء من جنس العمل، فكما تغفر عن المذنب إليك، نغفر لك، وكما تصفح، نصفح عنك. فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب يا ربنا أن تغفر لنا. ثم رجع وأعاد إلى مسطح ما كان يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، في مقابلة ما كان قال: والله لا أنفعه بنافعة أبداً، فلهذا كان الصديق هو الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (5).

فالامتناع عن أدائها ليس من الأخلاق الحميدة، والصفح والعفو، بل فيه حرمان من المغفرة والعفو ورفع الدرجات (6).

(1) النور: 22.

(2) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، (ج: 3/ص: 173). ح (2661). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، (ج: 4/ص: 2129)، ح (2770). واللفظ للبخاري. عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(3) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 6/ص: 31).

(4) النور: 22.

(5) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 6/ص: 31).

(6) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 6/ص: 31). ويُنظر أيضاً: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 19/ص: 136). ويُنظر أيضاً: قطب، في ظلال القرآن، (ج: 4/ص: 2504-2505).

ثالثاً: الترغيب في الإسلام:

في إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم: ترغيب لهم في الإسلام، وتحبيبه إليهم، وتقوية ما في قلوبهم من الإيمان، وكف شرهم عن المسلمين، وإيصال الدعوة إلى من لديهم من المستضعفين⁽¹⁾.

الزكاة تسد حاجة جهات المصارف الثمانية، التي ذكرها الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁽²⁾.

وبإعطائهم تنتفي المفسد الاجتماعية، والخُلقية الناشئة عن بقاء هذه الحاجات دون كفاية⁽³⁾.

ويمكن أن تلاحظ الخلاصة في ما سبق:

"إن الحكم التي شرعت من أجلها الزكاة كثيرة، فهي طهارة لنفس الغني، وطهارة لنفس الفقير، وصيانة للمجتمع من الفقر، وضمان اجتماعي، وتأمين وتكافل للأفراد جميعاً، فهذه كلها معانٍ عظيمة تدخل تحت مكارم الأخلاق"⁽⁴⁾. والله تعالى أعلم.

في ختام هذا الفصل، يتبين مدى العلاقة القائمة بين عبادة الزكاة والأخلاق التي بنيت فيها وعليها ومنها، ويظهر هذا في جوانب كثيرة جداً، منها على المُزَكِّي والمُزَكَّى عليه، وعلى الفرد والمجتمع المسلم كذلك، من حفظ للأموال ورعاية الفقراء والمسكين وغيرهم، وحفظ كرامتهم، وغير ذلك الكثير الكثير.

⁽¹⁾ يُنظر: القحطاني، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 40). ويُنظر أيضاً: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 5/ص: 521).

⁽²⁾ التوبة: 60.

⁽³⁾ يُنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءاً، (من 1404-1427هـ)، الأجزاء: 1 - 23، (ط 2)، دار السلاسل - الكويت، والأجزاء: 24-38، (ط 1)، مطابع دار الصفاة - مصر، والأجزاء: 39-45، (ط 2)، طبع الوزارة. (ج: 23/ص: 230).

⁽⁴⁾ نصيف، أخلاقنا في الميزان، (ص: 41).

الفصل الرابع

أثر الصيام في الأخلاق

وفيه: تمهيد، ومبحثان:

المبحث الأول: أثر الصيام على أخلاق الفرد.

المبحث الثاني: أثر الصيام على أخلاق المجتمع.

تمهيد

تعريف الصيام

أولاً: الصيام في اللغة:

من معاني الصوم: الإمساك والترك والامتناع. ففي تهذيب اللغة: "الصَّوْمُ فِي اللُّغَةِ: الإمساك عن الشيء والترك له"⁽¹⁾. أي الامتناع.

"وَمِنْ ذَلِكَ صَوْمُ الصَّائِمِ، هُوَ إِمْسَاكُهُ عَنِ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَسَائِرِ مَا مُنِعَهُ"⁽²⁾. قال ابن منظور: "الصَّوْمُ: تَرْكُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنَّكَاحِ وَالْكَلَامِ"⁽³⁾. وهذا المعنى يتفق مع التعريف الاصطلاحي، كما سيأتي.

"وَيَكُونُ الْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ صَوْمًا... قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾"⁽⁴⁾. إِنَّهُ الْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ وَالصَّمْتِ"⁽⁵⁾.

يقول ابن منظور: "وَيُقَوِّيه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾"⁽⁶⁾(7).

ثانياً: الصيام في الاصطلاح:

"... وفي الشرع: عبارة عن إمساك مخصوص وهو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، (ج: 12/ص: 182). ويُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج: 3/ص: 323). ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج: 12/ص: 350).

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج: 3/ص: 323). ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج: 12/ص: 350). ويُنظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 500).

(3) ابن منظور، لسان العرب، (ج: 12/ص: 350).

(4) مريم: 26.

(5) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج: 3/ص: 323). ويُنظر: الأزهري، تهذيب اللغة، (ج: 12/ص: 182). ويُنظر: الرازي، مختار الصحاح، (ص: 180). ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج: 12/ص: 351). ويُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 3/ص: 409)، و(ج: 18/ص: 182).

(6) مريم: 26.

(7) ابن منظور، لسان العرب، (ج: 12/ص: 350).

من الفجر إلى المغرب مع النية⁽¹⁾.

وغير ذلك مما يبطل صومه. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾⁽²⁾.

فالصوم: "هو الإمساك عن الأكل، والشرب، والجماع، وسائر المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، بنية الصوم، تقرباً إلى الله عز وجل"⁽³⁾. وهذا معنى الصيام في الشريعة عند جميع علماء الأمة⁽⁴⁾.

(1) البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، **التعريفات الفقهية**، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ- 1986م)، (ط 1)، 1424هـ- 2003م، (ص: 131). ويُنظر أيضاً: ابن قدامة المقدسي، **المغني**، (ج: 3/ص: 104). ويُنظر أيضاً: الكاساني، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، (ج: 2/ص: 75). ويُنظر أيضاً: البهوتي، **كشاف القناع عن متن الإقناع**، (ج: 2/ص: 299).

(2) البقرة: 187.

(3) التوبجري، **مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة**، (ص: 623).

(4) يُنظر: ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، (ت: 463هـ)، **الإجماع لابن عبد البر**، جمع وترتيب: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب وعبد الوهاب بن ظافر الشهري، دار القاسم للنشر، (ص: 125).

المبحث الأول

أثر الصيام على أخلاق الفرد

إن للأخلاق في الصيام دوراً بارزاً في حياة الفرد والمجتمع المسلم، بل يُعد الصيام مصدراً للأخلاق الحميدة والفضيلة. فهو يستحوذ على نصيب عظيم منها، فله أثر على النفس والفرد والمجتمع. ويتضح ذلك من خلال ما يأتي:

المطلب الأول: التقوى:

لقد شاءت إرادة المولى القدير، حين فرض الصوم أن يجعله سبيلاً إلى أن يتقي الإنسان ربه في كل صغيرة وكبيرة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾. فليس المقصود من الصيام الإمساك عن الطعام والشراب فحسب، بل هو خطوة ووسيلة إلى حرمان النفس من شهواتها المحرمة، ونزواتها المتكررة في الإقبال على متاع الحياة الدنيا، والاستعلاء بها على ضرورات الجسد كلها، وطغيان النفس البشرية⁽²⁾.

يترك الصائم شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك لمحوبات النفس وملذاتها، إيثاراً لمحبة الله ومرضاته، وهو سرٌّ بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل ربه تبارك وتعالى، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم⁽³⁾.

فمن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: "يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا

(1) البقرة: 183.

(2) يُنظر: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 55). ويُنظر أيضاً: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (ج: 2/ص: 76). ويُنظر أيضاً: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 107-110).

(3) يُنظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج: 2/ص: 27-29).

أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي" (1).

فالصيام يوقظ التقوى، ويحافظ عليها ويجعلها متقدمة في القلوب والصدور، والتقوى بدورها تحفظ المسلم من إفساد صومه، حتى لا يقترف فاحشة أو كذباً، قال ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ" (2).

فبالتقوى يتحقق الجانب الأخلاقي، من انضباط للنفس والجوارح، وامتنال لأوامر الله تبارك وتعالى. قال ﷺ: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَرْفُثُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ أَمْرٌ قَاتِلُهُ أَوْ شَاتِمُهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ" (3). وفي رواية أخرى أنه ﷺ: "...وَلَا يَصْحَبُ" (4).

فأرشد الرسول ﷺ الصائم أن يلتزم بالأداب الإسلامية والأخلاق الحسنة، والسلوك السليم، والامتناع عن كل قول وفعل مخل بالأدب (5).

وفي الصيام أيضاً وقاية من الجهل والسفه والطيش والسيء من القول والفعل، والصخب، ورد السيئة بمثلها. فهذا من آفات الأخلاق الذميمة.

لقد جعل الله التقرب إليه بترك ما حرمه، من الكذب والبغي والظلم والعدوان والاعتداء على الناس، في دمائهم وأموالهم وأعراضهم. فكل ذلك قربةً لله، ومرسّخاً للأخلاق العالية (6).

(1) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله} [الفتح: 15]، (ج: 9/ص: 143). ح(7492). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، (ج: 2/ص: 807)، ح(1151). واللفظ للبخاري.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم، (ج: 3/ص: 26)، ح(1903). عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(3) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، (ج: 3/ص: 24)، ح(1894). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم، (ج: 2/ص: 806)، ح(1151). واللفظ للبخاري. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(4) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، هل يقول إني صائم إذا شتم، (ج: 3/ص: 26). ح(1904). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم، (ج: 2/ص: 806)، ح(1151). واللفظ للبخاري. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(5) يُنْظَرُ: نصيف، أخلاقنا في الميزان، (ص: 45).

(6) يُنْظَرُ: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، (ت: 795هـ)، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، دار ابن حزم للطباعة والنشر، (ط 1)، 1424هـ-2004م. (ص: 155).

ولهذا جاء من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال: "رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهْرُ"⁽²⁾. فمن لم يترك الظلم والجور، ويتقي الله في أقواله وأفعاله، فقد يبطل صيامه. وبالنهي عن ذلك يتم ترسيخ الأخلاق في النفس وترويضها.

ويُلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1- غاية الصيام: التقوى.

2- نهى الرسول ﷺ عن كل ما يبطل الصيام من الأعمال والأخلاق والآفات السيئة.

3- الصيام يحقق الأخلاق، وذلك من خلال تربية النفس على التقوى.

المطلب الثاني: الصيام يكبح جماح الشهوة، ويكسو خُلق العفة والتعفف:

الصيام وقاية للنفس من الشهوات، فهو يكسو خُلق العفة والتعفف والحياء، وهو عون للذين لا يجدون الزواج والنكاح، فمن حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ"⁽³⁾.

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور، والعمل به في الصوم، (ج: 3/ص: 26)، ح(1903).

(2) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة رضي الله عنه، (ج: 15/ص: 428)، ح(9685). قال محققو المسند: إسناده حسن. وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الصوم، باب ما جاء في الغيبة والزَّفَثِ لِلصَّائِمِ، (ج: 1/ص: 539). ح(1690). وأورده: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج: 1/ص: 656)، ح(3485). وقال الألباني: صحيح.

(3) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، (ج: 7/ص: 3). ح(5066). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، (ج: 2/ص: 1018)، ح(1400). واللفظ للبخاري.

ففي الصيام خلق الحياء والفضيلة، وغيض البصر عن النظر إلى النساء، وعفة للنفس عن الشهوات المناوئة للأخلاق.

إن الصوم يقهر ويكسر الطباع في النفس ويحد من الشهوة؛ لأن النفس إذا شبت رغبت في الشهوات والمذات، فالشبع والرّي ومباشرة النساء تحمل النفس على الأشر والبطر والغفلة. فالصيام يضيق مجاري الدم، التي يجري بها الشيطان من ابن آدم، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما أخبر النبي ﷺ بذلك، فقال: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ"⁽¹⁾. فتسكن بالصيام وساوس الشيطان، وتتكسر ثورة الشهوة والغضب، ولهذا فالصوم وجاء وجبةً وحمايةً لقطعته عن الشهوات، فإذا جاءت النفس امتعت عما تهوى⁽²⁾.

ولهذا قال ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ"⁽³⁾. فيكون الصوم من الأسباب المانعة عن المعاصي⁽⁴⁾. فيما تشتهي النفس.

وأيضاً ففي الصوم مجاهدة لرغبات النفس والجسد، وفيه تقوية لإرادة المسلم، فالصائم يكبح جماح نفسه وشهواته عن الحلال فترةً قصيرةً من اليوم، وفي ذلك عون له أن يمتنع عن الحرام باقي الأوقات، وفي ذلك تعويد له وتهذيب وتطهير لنفسه⁽⁵⁾.

(1) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم، في ولايته القضاء أو قبل ذلك، للخصم، (ج: 9/ص: 70)، ح(7171). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رئي خالياً بامرأة وكانت زوجته أو محرماً له أن يقول هذه فلاتة ليدفع ظن سوء به، (ج: 4/ص: 1712)، ح(2175). واللفظ للبخاري. عن علي بن حسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(2) يُنْظَرُ: ابن رجب، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، (ص: 155). ويُنْظَرُ أيضاً: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج: 2/ص: 28).

(3) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، (ج: 7/ص: 3). ح(5066). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تآقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، (ج: 2/ص: 1018)، ح(1400). واللفظ للبخاري. عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(4) يُنْظَرُ: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (ج: 2/ص: 76).

(5) يُنْظَرُ: موسى، أشرف فؤاد، مقال بعنوان: قالوا في الصيام: الجانب التربوي في الصيام، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الدينية، مجلد: 26، العدد: 309. غير محكم. 1990م، إبريل - رمضان. مقال من ثلاث صفحات، من (99-101). دار المنظومة، (ص: 99).

ومن المتعارف عليه أن الغريزة الجنسية من أخطر أسلحة الشيطان في إغواء الإنسان، والناظر اليوم إلى حضارة الغرب، يرى فيها الانحلال الخلقي والأمراض وغير ذلك، فيتبين له: أن انحراف هذا الغريزة، هي السبب وراء كثير من الأحوال التي كانت وما زالت ترتكس فيها. فللصوم تأثير بالغ في كسر هذا الشهوة، وخصوصاً إذا استمر عليه وداومه ابتغاء مرضاة الله تعالى⁽¹⁾.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1- الصيام كاسر لشهوات النفس.

2- الصوم علاج ودواء لمن لم يستطع الزواج.

3- الصوم يضيق على الشيطان مجاريه بالدم.

المطلب الثالث: الصيام تربية وتهذيب للنفس:

إن الصيام يضبط الجوارح ويهذب النفس، فتعتاد النفس على ذلك، فلا يقتصر الصيام على شهوتي البطن والفرج، ولكن الصيام الصحيح أن تصوم الجوارح كلها، عن كل ما حرم الله، فالعين والأذن واللسان واليد والرّجل بجانب الفم والفرج، وكل ذلك جانب تربوي هام في شخصية المسلم⁽²⁾.

فإن صامت النفس عما حرم الله شهراً كاملاً، وأقبلت على كتاب الله تنهل وتتزود منه، فقد تزكت واستقامت على الطريق، واستقلت ونأت عن الشهوات المحرمة، وتربت واعتادت على اليقظة والمراقبة الدائمة، وصارت تفرق بين الحلال والحرام والحق والباطل، وأخذت النفس تتحرى الصدق والبر والخير طيلة شهر كامل، كان ذلك دافعاً لها على السلوك الحميد والصبر الجميل على تحمل المشاق والأذى، فلا تضعف ولا تلين أمام ضلال المضلين وأباطيل المبطلين، ولكن تقف قوية لا

⁽¹⁾ يُنظر: القرضاوي، يوسف، تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة (فقه الصيام)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط 3)، 1414هـ-1993م، (ص: 13).

⁽²⁾ يُنظر: موسى، قالوا في الصيام: الجانب التربوي في الصيام، (ص: 100). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 291). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة (فقه الصيام)، (ص: 12).

على حساب دينها، بل تقف عند حدود الله وشريعته عبادةً ومعاملةً وأخلاقاً مهديّةً هاديةً⁽¹⁾. فالصوم تركية للنفس، وتطهير لها من الأخلاق الرذيلة، والأخلاق الرديئة⁽²⁾.

ودوام الشيع في حياة المسلم من شأنه أن يغمر مشاعره بأسباب القسوة، وينمي في نفسه عوامل الطغيان، وكلاهما مما يتنافى مع شأن المسلم في أخلاقه، فكان في شريعة الصيام ما يهذب نفس المسلم ويضبطها⁽³⁾.

والخلاصة: أن الصوم سبب في التمرن على ضبط النفس، والسيطرة عليها وتهذيبها؛ حتى يتمكن المسلم من قيادة نفسه، لما فيها سعادتها في الدنيا والآخرة، فالصوم يضبط النفس ويُقلل من كبريائها⁽⁴⁾.

المطلب الرابع: الصيام يكسو صاحبه خلق الصبر والحلم، والتأدب مع الباري جلّ جلاله:

أولاً: الصبر:

الصبر خلق جميل، لا يتحلى به إلا أهل النقوى والصلاح، ومن آتاه الله إياه، فلقد قال تعالى: ﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾⁽⁵⁾.

ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "وَمَنْ يَنْصَبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"⁽⁶⁾. فالصبر خير عطاء يُعطاه الإنسان.

⁽¹⁾ يُنظر: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 56). ويُنظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج: 2/ص: 27-29).

⁽²⁾ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 1/ص: 497).

⁽³⁾ يُنظر: مصطفى الخن، ومصطفى البغا، وعلي الشرجي، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، (ط 4)، 1413هـ-1992م، 8 مج. (ج: 2/ص: 76).

⁽⁴⁾ يُنظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج: 2/ص: 27-29).

⁽⁵⁾ البقرة: 155.

⁽⁶⁾ (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب زكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، (ج: 2/ص: 122).

ح(1469). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، (ج: 2/ص: 729)، ح(1053). واللفظ للبخاري.

والصوم من الصبر، ومنه قيل لرمضان: شهر الصبر؛ لأن الصيام يمنع من الشهوات،
ويزهده في الدنيا. والصبر على الأذى والطاعات من باب جهاد النفس وقمعها عن شهواتها، ومنعها
من تطاولها، وهو من أخلاق الأنبياء والصالحين⁽¹⁾.

ومن الصبر: ألا يتمنى المرء حالاً سوى ما رزقه الله، والرضا بما قضى الله له من أمر
دنياه وآخرته. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لم يصبر على العمل بجوارحه،
لم يستحق الإيمان بالإطلاق، وقد جعل الله تبارك وتعالى أجر الصابرين أجراً عظيماً، ومدح
أهله⁽²⁾، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾⁽³⁾.

ولقد حث النبي ﷺ الصائمين، أن يعفوا ويغفروا، ولا يردوا الإساءة بمثلها، إن قاتلهم أحد
أو سابههم، فمن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَزُفْتُ وَلَا يَجْهَلُ،
وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيُقِلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ"⁽⁴⁾.

قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾⁽⁵⁾. يقول الطبري: "يقول تعالى
ذكره: ولمن صبر على إساءة إليه، وغفر للمسيء إليه جرماً إليه، فلم ينتصر منه، وهو على
الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه. (إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) يقول: إن صبره ذلك
وغفرانه ذنب المسيء إليه، لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده، وعزم عليهم العمل به"⁽⁶⁾.

إذاً الصوم يجمع أنواع الصبر كلها؛ فإن فيه صبراً على طاعة الله، وهو: الصيام، وصبراً
عن ما نهى الله عنه، وهو: المفطرات أثناء الصيام، وصبراً على أقدار الله المؤلمة: من الجوع
والعطش، فيحصل الصائم على جزاء الصابرين⁽⁷⁾.

(1) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 1/ص: 372).

(2) المرجع السابق.

(3) الزمر: 10.

(4) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، (ج: 3/ص: 24)، ح(1894).
وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصوم، باب حفظ اللسان للصائم، (ج: 2/ص: 806)، ح(1151). واللفظ للبخاري.

(5) الشورى: 43.

(6) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 21/ص: 551).

(7) يُنظر: الفحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الصيام في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، وفضائل، وفوائد،
وخصائص، وشروط، وأركان، ومسائل، وآداب، وحكم، وأحكام، مركز الدعوة والإرشاد بالقصب، (ط 2)، 1431هـ-2010م،
مجلد واحد، (ص: 30). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة (فقه الصيام)، (ص: 13).

إن الصيام يربي النفس على الصبر والحرمان ونزوات الدنيا، ويسمو بها، فهو يسمو بها إلى كمال الأخلاق ومجاهدة النفس، حتى تتحلى بفضائل الأخلاق فيما بينها وبين الله وبين الناس، فيصبر على الأقدار، وأذى الناس. ذلك أن الصائم يرى ربه في كل صغيرة وكبيرة، ويترك طعامه وشرابه مخافةً من الله وحده، لا مخافةً من أمير أو سلطان، فالصوم له سبحانه وهو المكافئ به. فيدفع الصيام المسلم الخلق إلى أن يراقب ربه عز وجلّ، في كل قول أو فعل، راجياً الجزاء منه سبحانه، محرراً نفسه من سلطان الهوى والضلال⁽¹⁾.

وهكذا يكون الصيام تدريباً عملياً على ضبط النفس وجهادها، ويؤدي إلى الصبر وتحمل المسؤولية وتحمل المشاق؛ ليكون المسلم بعد الصوم أحسن حالاً وأفضل من حيث زيادة التقوى والعمل الصالح، والالتزام بأخلاق الإسلام العظيم⁽²⁾.

قال سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾⁽³⁾. فالله تبارك وتعالى، علّق المغفرة والأجر بالعمل الصالح، والصبر على ذلك، وعلى صنوف الأذى، وذلك يسير على من يسره الله عليه⁽⁴⁾.

إن الصيام يعلم الصائم فضيلة خُلِقَ الحِلْمُ على الجاهلين، فإذا خاصمه أحد أو سابه وشاتمته أو استنثاره، فيكظم غيظه ويحلم عليه، ويقول له: إني صائم إني صائم⁽⁵⁾.

كما علم النبي ﷺ أمته، فقال ﷺ: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلَا يَزُفْتُ وَلَا يَجْهَلُ، وَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ

(1) يُنظر: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 55 و56). ويُنظر أيضاً: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج: 2/ص: 27-29). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 291).

(2) يُنظر: عبد الله بن محمد الطيّار، وعبد الله بن محمد المطلق، ومحمد بن إبراهيم موسى، الفقه الميسر، مَدَارُ الْوَطَنِ لِلنَّشْرِ، الرياض - المملكة العربية السعودية، (ط 2)، 1433هـ-2012م، 13 مج. (ج: 3/ص: 12). ويُنظر: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 292).

(3) هود: 11.

(4) يُنظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، عدة الصابرين ونذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، (ط 3)، 1409هـ-1989م. (ص: 13).

(5) يُنظر: موسى، قالوا في الصيام: الجانب التربوي في الصيام، (ص: 100).

شَاتَمَهُ فُلَيْقُلٌ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ" (1).

ثانياً: في الصيام خُلُقُ التَّأدبِ مع الباري جَلَّ جلاله:

التأدب مع الله جَلَّ في علاه، من أخلاق الصيام، فيشكر ربه جَلَّ وعلا على نعمة الصيام، وعلى ما أعانه وأنعم عليه فيه. فبالحمد والشكر تزيد النعم وتبقى وتدوم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (2).

واليه أشار الربُّ سبحانه وتعالى بقوله في آية الصيام: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (3).

قال الطبري: "ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من الهداية والتوفيق، وتيسير ما لو شاء عسر عليكم" (4).

والصوم وسيلة إلى شكر النعمة، ففي الصيام كف النفس عن الأكل والشرب والجماع وشهواتها وملذاتها، وهذا من أجل النعم وأعلاها، والامتناع عنها زماناً معتبراً يعرف قدره، إذ النعم مجهولة، فإذا فقدت عرفت، فيحمله ذلك على قضاء حقها بالشكر، وشكر النعم فرض عقلاً وشرعاً (5).

وهكذا فيكون الصائم منيباً قانتاً خاشعاً شاكراً لأنعم الله تبارك وتعالى، متخلفاً بأخلاق الإسلام، مقتدياً بهدي المصطفى ﷺ.

(1) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، (ج: 3/ص: 24)، ح(1894). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم، (ج: 2/ص: 806)، ح(1151). واللفظ للبخاري. عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) إبراهيم: 7.

(3) البقرة: 185.

(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 3/ص: 479).

(5) يُنظر: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (ج: 2/ص: 76). ويُنظر أيضاً: ابن رجب، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، (ص: 155).

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. الصوم يعين على الصبر والتصبر، وضبط النفس، وتحمل الأذى من الآخرين.
2. الصبر من أخلاق الإسلام العظيمة، والتي تعود بالأجر العظيم.
3. نعم الله كثيرة جداً، ويشكره دوامها.
4. الحِلْمُ قرين لخلُق الصبر.

المبحث الثاني

أثر الصيام على أخلاق المجتمع

للصيام أخلاق جمة تعود على المجتمع المسلم بالخير العميم، فهو يجعل المجتمع المسلم متحاباً متماسكاً، يحيطهم بسياج من الأخوة والتآلف، ويتضح ذلك من خلال المطالب الخمسة الآتية:

المطلب الأول: الصيام يحث على المحبة، ويهدب المجتمع في سلوكه:

أولاً: الصيام يحث على المحبة والألفة والتعاون:

تشعر النفس في شهر رمضان، بالروحانيات الإيمانية العالية، وتكثر فيه الزيارات ذوي الأرحام، ويرى الناس بعضهم بعضاً في صلاة التراويح، ويدعوا بعضهم بعضاً على وجبات الإفطار وغير ذلك، وهذا يزيد من الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع، وتتحطم كل الحواجز المانعة، وتحلّ روح الجماعة والمحبة والتعاون بين الجميع⁽¹⁾.

لقد حثّ النبي ﷺ على تفتير الصائمين، لما فيه أجر كبير، ووسيلة للخير وتحقيق المحبة والألفة والتعاون، فعن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا"⁽²⁾.

وتفتير الصائمين تعاون على البر والتقوى، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا

(1) يُنظر: عبد المتجلي، ومحمد رجاء حنفي، مقال بعنوان: الصيام تهذيب للخلق وتقويم للسلوك، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الدينية، مجلد: 25، العدد: 297، غير محكم. 1989م، إبريل - رمضان. دار المنظومة، (ص: 38).

(2) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند الشاميين، بقية حديث زيد بن خالد الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم، (ج: 28/ص: 261)، ح(17033). قال محققو المسند: صحيح لغيره. والترمذي، سنن الترمذي، أبواب الصوم، باب ما جاء في فضل من فطر صائماً، (ج: 3/ص: 162)، ح(807). وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الصيام، باب في ثواب من فطر صائماً، (ج: 1/ص: 555). ح(1746). وأورده: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج: 2/ص: 1095)، ح(6412). وقال الألباني: صحيح.

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴿١﴾. فشهر الصيام كله تعاون على الخير والإحسان والمعروف، وترك للمنكرات والآثام، والتماس الخير ما استطیع إلى ذلك سبيلاً، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ (2).

ثانياً: الصيام تربية وتهذيب للمجتمع في سلوكه:

في المداومة على الصيام، والمحافظة عليه، تصبح التقوى ملكة في النفس، تتحكم في سلوك الفرد، وتسيطر على أحاسيسه، وتوجه النفس نحو الخير، وتذكرها بالرقيب الأعلى، فيحيي الضمير، ويقوى الوازع الديني، وينعم المجتمع بالأفراد الصالحين المخلصين لوطنهم ومجتمعهم، فيؤدون واجبهم، ويحسنون الإنتاج، ويساهمون في الخير، ويصلون إلى أقصى وأسمى درجات النضج النفسي والاجتماعي (3).

إن الصيام خير مهذب للمجتمع ككل، فهو يدعو الناس جميعاً لصفحة جديدة في حياتهم، وعهد جديد، يبتدئونه بالتوبة إلى الله سبحانه، وترك الظلم، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (4). وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ (5).

إن شهر الصيام شهر التوبة وعمل الصالحات والقربات، والنهي عن العدوان والمنكرات، والتشاحن بين المؤمنين، قال سبحانه: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ (6).

ففيه يتحقق قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ (7). وهذا كله فيه: تهذيب للسلوك والخير

(1) المائدة: 2.

(2) التوبة: 71.

(3) يُنظر: المتجلي، وحنفي، الصيام تهذيب للخلق وتقويم للسلوك، (ص: 37).

(4) النور: 31.

(5) الشورى: 40.

(6) آل عمران: 134.

(7) النحل: 90.

والفلاح.

إن غاية الصيام تحقيق ذلك كله، فهو منهج شامل، ومدرسة ربانية متكاملة للمجتمع، يجعل المجتمع يحيى بروح إيمانية عالية، ويساهم في تهذيبه وتقويم سلوكه، كما يحب الله ويرضاه.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. كل مظاهر الخير والإحسان تتحقق في شهر الصيام.
2. الصوم تعاون على البر والخير.
3. الصوم يقوّم المجتمع المسلم.
4. الروح الإيمانية العالية، واجتماع الناس على الخير، من شأنه أن يولد المحبة والرحمة بين أفراد المجتمع المسلم.

المطلب الثاني: الصيام رحمة ورأفة بالفقراء والمساكين:

إن الغني في شهر الصيام يعرف قدر نعمة الله عليه، وما خصه الله به عن كثير من الفقراء من حيث الطعام والشراب والنكاح. فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص، يتذكر من مُنع من ذلك على الإطلاق، فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته⁽¹⁾.

إن الصوم يجعل في قلوب المؤمنين، عاطفة الرحمة وخلق الإحسان على المساكين والفقراء، فالصائم إذا ذاق ألم الجوع وقساوته في بعض الأوقات، تذكّر من هذه حاله في جميع الأوقات وغالبها، فتسارع إلى قلبه الرقة والرحمة على هؤلاء المساكين والفقراء، فيحسن إليهم ويصفح عنهم، فيحصل بذلك على حسن الجزاء، والثواب العظيم من الله تعالى، فينال رضى الله تبارك تعالى⁽²⁾.

⁽¹⁾ يُنظر: ابن رجب، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، (ص: 155).

⁽²⁾ يُنظر: ابن الهمام، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي، (ت: 861هـ)، فتح القدير، دار الفكر، 10 مج. ج:

2/ص: 301).

المطلب الثالث: من أخلاق الصيام زكاة الفطر:

وقد جاءت زكاة الفطر أيضاً؛ لتؤكد هذا المعنى وتذكّر به، وهذا جانب تربوي هام، يقوى به جانب المودة والإخاء بين الناس والمجتمع على الدوام⁽¹⁾.

فزكاة الفطر: تجب في رمضان، عن كل فرد مسلم، قبل صلاة عيد الفطر، وهي طهراً للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾⁽³⁾. فُسرت بزكاة الفطر، ووجوبها⁽⁴⁾.

وفي السنة من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: "فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ، وَالذَّكْرِ وَالْأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ"⁽⁵⁾.

فزكاة الفطر طعمة للمساكين والفقراء، وإغناء لهم عن السؤال في يوم العيد، وإدخال السرور والبهجة عليهم؛ ليكون العيد يوم فرح وسرور للمجتمع في ذلك اليوم⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ يُنظر: موسى، قالوا في الصيام: الجانب التربوي في الصيام، (ص: 100). ويُنظر أيضاً: شلتوت، الإسلام عقيدة وشرعية، (ص: 107-110).

⁽²⁾ يُنظر: الحجاوي الحنبلي، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا، (ت: 968هـ)، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة بيروت - لبنان، 4 مج. (ج: 1/ص: 278). ويُنظر أيضاً: محمد رواس قلجعي، وحامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، (ط 2)، 1408هـ-1988م، (ص: 31).

⁽³⁾ الأعلى: 14-15.

⁽⁴⁾ يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 24/ص: 374). ويُنظر: ابن قدامة المقدسي، المغني، (ج: 3/ص: 79).

⁽⁵⁾ (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب فرض صدقة الفطر، (ج: 2/ص: 130). ح(1503). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين من التمر والشعير، (ج: 2/ص: 677)، ح(984). واللفظ للبخاري.

⁽⁶⁾ يُنظر: السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، (المتوفى: 1376هـ)، إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، اعتنى به ونسقه وعلق عليه: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، (ط 1)، 1420هـ-2000م، (ص: 134 و 135). ويُنظر أيضاً: القحطاني، الصيام في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 600-602).

فيسعدون جميعاً في جوٍ من الإخاء والمحبة. فالنبي ﷺ فرضها طهرةً للصائم من لغوه وسفهه وجهله، وما ينتج عن ذلك من خدش لأخلاق الصائم أثناء صيامه.

يلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. الصيام تربية للأغنياء.
2. زكاة الفطر طهرة للصائم من لغوه، وطعمة للمساكين.
3. إظهار الرحمة، وإدخال السرور على الفقراء والمساكين.

المطلب الرابع: الصيام قوة واتحاد، وكفّ عن أموال الآخرين، وتعليم للنظام:

أولاً: في الصيام: التماسك والقوة والاتحاد:

إن من أهم المبادئ التي ينهض عليها المجتمع الإسلامي؛ لكي يصبح قوياً متماسكاً هو: تراحم المسلمين وتعاطفهم، وهيهات أن يرحم الغني الفقير رحمةً صادقةً، من غير أن يتخلله الشعور بآلام الفقر وشدته، ومرارة الجوع وضراوته. وشهر الصيام خير ما يكسب الغني شعور الفقير، ويجعله يعيش معه في آلامه وحرمانه، ومن ثم كان الصوم خير ما يثير في نفس الأغنياء دوافع العطف والرحمة والمواساة⁽¹⁾.

وهكذا يحقق الصيام الاعتصام بحبل الله، وعدم التفرق. قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾⁽²⁾.

إن الصوم يدعم معنى الجماعة في نفس الصائمين، فالمسلمون في أنحاء العالم يتحرون الهلال في وقت واحد، ويصومون في شهر واحد، ويشعرون أن ما حباهم الله تبارك وتعالى فيه من خير، إنما هو بسبب الصيام، فشهر رمضان يتشارك فيه المسلمون جميعاً في كافة أقطار الدنيا،

⁽¹⁾ يُنظر: الخنّ وآخرون، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، (ج: 2/ص: 76). ويُنظر: الطيار وآخرون، الفقه الميسر، (ج: 3/ص: 12). ويُنظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج: 2/ص: 27-29).

⁽²⁾ آل عمران: 103.

على اختلافهم وألوانهم، فيشعرون بالوحدة والاتحاد⁽¹⁾.

والشعور بوحدة المسلمين أمر تربوي وأخلاقي في غاية الأهمية، فإنه يقوي الروابط والعلاقات والأواصر بين الأفراد والجماعات، ويضفي الروح الإسلامية بينهم⁽²⁾.

فيصبح المجتمع ككتلة واحدة متماسكة، من الاجتماع على الكلمة والقوة والإخاء المتبادل فيما بينهم، بكافة طبقاته وفئاته، حتى الضعفاء منهم، فالرسول ﷺ حث على الإحسان للضعفاء وذوي الحاجة، فقال رسول الله ﷺ: "هَلْ تُنصِرُونَ وَتُرزِقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ"⁽³⁾. فالنصر والرزق يأتيان برحمة الضعفاء والإحسان إليهم.

ولا شك أن هذا كله يتحقق بالصيام، الذي يولد في نفس المؤمن الصائم رحمة ورأفة على الفقراء والمساكين والضعفاء.

ثانياً: الصيام يعلم المرء الكف، وعدم الاعتداء على مال الآخرين:

جاء في القرآن الكريم، بعد ذكر آية الصيام التي فيها تحريم الطعام والشراب على الصائم نهراً، وهو قوله سبحانه: ﴿...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾⁽⁴⁾. ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽⁵⁾. وقد ربط ابن رجب بين الآيتين في سورة البقرة آية الصيام التي فيها تحريم الطعام والشراب، وبين الآية التي تليها، والتي فيها تحريم أكل أموال الناس بالباطل، فقال ابن رجب: "ورد في القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب على الصائم بالنهار ذكر تحريم أكل أموال الناس

(1) يُنظر: موسى، قالوا في الصيام: الجانب التربوي في الصيام، (ص: 101). ويُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 107-110).

(2) يُنظر: المرجعان السابقان.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، (ج: 4/ص: 36). ح(2896). عن مصعب بن سعد.

(4) البقرة: 187.

(5) البقرة: 188.

بالباطل فإنّ تحريم هذا عام في كل زمان ومكان بخلاف الطعام والشراب فكان إشارة إلى أن من امتثل أمر الله في اجتناب الطعام والشراب في نهار صومه فليمتثل أمره في اجتناب أكل الأموال بالباطل فإنه محرم بكل حال لا يباح في وقت من الأوقات"⁽¹⁾.

ثالثاً: الصيام التزام بالنظام:

الصيام يعوّد المسلمين جميعاً النظام والانتظام والاهتمام بالأوقات، والدقة بالمواعيد، فكل صائم يتحرى وقت الإمساك ووقت الإفطار، ويدقق في ذلك حتى لا يبطل صومه بسبب الإهمال وعدم الدقة، وهذا جانب تربوي أخلاقي تعليمي هام للمجتمع الإسلامي⁽²⁾.

ومما يشاهد في واقع المسلمين اليوم عدم احترام كثير منهم للنظام، وتقصير العديد منهم بالمواعيد والالتزام بها، مع أن الصيام يضبط المؤمن على نظام محدد، ومواقيت معلومة، فيؤذنه بوقت الإمساك، ويعلمه بوقت الإفطار، وينبؤوه بما يجوز له وما لا يجوز في نهاره، وهذا نظام رباني يضبط المؤمن ويحدد له سلوكه، ويضبطه في تعامله مع الآخرين، فيكون مع الصادقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾⁽³⁾.

ويلاحظ مما سبق، الأمور الآتية:

1. الصيام يحقق الوحدة والقوة والتراحم بين أفراد المجتمع الإسلامي.

2. الصوم يعلم النفوس القناعة.

3. الصوم يعزز خُلق الصدق والالتزام.

المطلب الخامس: الصيام يعلم خُلق المساواة:

الصيام يعلم المجتمع المساواة والتكافؤ، فالغني والفقير والقوي والضعيف، كلهم صائمون،

(1) ابن رجب، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، (ص: 156).

(2) يُنظر: موسى، قالوا في الصيام: الجانب التربوي في الصيام، (ص: 101).

(3) التوبة: 119.

كلهم سواء، فيكون المؤمنون أصحاب رحمة وإحسان، وهذا يصون المجتمع ويحفظه من الشرور والمفاسد⁽¹⁾.

وقد أمر الإسلام بالمساواة، وجعل أساس التفاضل بين الناس بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽²⁾.

يقول الطبري: "إن أكرمكم أيها الناس عند ربكم، أشدكم انقاء له بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، لا أعظمكم بيتا ولا أكثركم عشيرة"⁽³⁾. ومما لا شك فيه أن الصيام يحقق التقوى، الذي هو أساس التفاضل بين الناس.

فهذه حكمة اجتماعية للصيام، وخاصة في رمضان، فهو يفرض الصيام والبعد عن كل ما تشتهيه النفس من ملذات، ويجبر الناس على ذلك، فيوجد نوعاً من المساواة الإلزامية في الحرمان، ويزرع في نفوس الموسرين الإحساس بالآلام الفقر والمحرومين، ويذكرهم بحال الأكباد الجائعة من المساكين. فهذا التذكير العملي الذي يدوم شهراً كاملاً، يدعو إلى التراحم والمواساة والتعاطف بين الأفراد والمجتمع⁽⁴⁾.

المطلب السادس: شهر الصيام يعلم الناس أخلاق النبي ﷺ:

لقد كان ﷺ في شهر الصيام، من أجود الناس بالخير، وأفضلهم وأحسنهم، بل كان أجود بالخير من الريح المرسلة⁽⁵⁾. ولنا فيه ﷺ أسوة حسنة وقدوة نفتدي بها⁽⁶⁾.

(1) يُنظر: الطيّار وآخرون، الفقه الميسر، (ج: 3/ص: 12).

(2) الحجرات: 13.

(3) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 22/ص: 312).

(4) يُنظر: القرضاوي، تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة (فقه الصيام)، (ص: 14 و15).

(5) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب: أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان، (ج: 3/ص: 26). ح (1902). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة، (ج: 4/ص: 1803)، ح (2308). واللفظ للبخاري. عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(6) يُنظر: ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج: 2/ص: 28-29).

ومن فوائد الصيام وثمراته، ما ذكره ابن القيم، قال: "مَا كَانَ الْمُفْصُودُ مِنَ الصِّيَامِ حَبْسَ النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَفَطَامَهَا عَنِ الْمَأْلُوفَاتِ، وَتَعْدِيلَ قُوَّتِهَا الشَّهَوَانِيَّةِ، لِنَسْتَعِدَّ لَطَلَبِ مَا فِيهِ غَايَةُ سَعَادَتِهَا وَتَعِيمِهَا، وَقَبُولِ مَا تَزْكُو بِهِ مِمَّا فِيهِ حَيَاتُهَا الْأَبَدِيَّةُ، وَيَكْسِرُ الْجُوعُ وَالظَّمَأُ مِنْ حَدِيثِهَا وَسَوْرَتِهَا، وَيَذَكِّرُهَا بِحَالِ الْأَكْبَادِ الْجَائِعَةِ مِنَ الْمَسَاكِينِ. وَتُضَيِّقُ مَجَارِيَ الشَّيْطَانِ مِنَ الْعَبْدِ بِتَضْيِيقِ مَجَارِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَتُحْبَسُ قُوَى الْأَعْضَاءِ عَنِ اسْتِرْسَالِهَا لِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ فِيمَا يَضُرُّهَا فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا، وَيُسَكَّنُ كُلَّ غَضُوٍّ مِنْهَا وَكُلَّ قُوَّةٍ عَنِ جِمَاحِهِ وَتُلْجِمُ بِلِجَامِهِ، فَهُوَ لِجَامِ الْمُتَّقِينَ، وَجُنَّةِ الْمُحَارِبِينَ، وَرِيَاضَةُ الْأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّبِينَ، وَهُوَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ، فَإِنَّ الصَّائِمَ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَتْرُكُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ، فَهُوَ تَرَكُ مَحْبُوبَاتِ النَّفْسِ وَتَلَذُّدَاتِهَا إِيثَارًا لِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ، وَهُوَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ سِوَاهُ، وَالْعِبَادُ قَدْ يَطَّلِعُونَ مِنْهُ عَلَى تَرَكِ الْمُفْطِرَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ تَرَكُ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ، فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ بَشَرٌ، وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الصَّوْمِ. وَلِلصَّوْمِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْقُوَى الْبَاطِنَةِ، وَحِمِيَّتِهَا عَنِ التَّخْلِيطِ الْجَالِبِ لَهَا الْمَوَادِّ الْفَاسِدَةَ الَّتِي إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا أَفْسَدَتْهَا، وَاسْتَفْرَاغِ الْمَوَادِّ الرَّيْبِيَّةِ الْمَانِعَةِ لَهَا مِنْ صِحَّتِهَا، فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَى الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ صِحَّتَهَا، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا اسْتَلْبَنَتْهَا مِنْهَا أَيْدِي الشَّهَوَاتِ، فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى النَّفْسِ (1).

وقد بين الله تعالى علاقة الصيام بالنفوس، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (2). وقال ﷺ: "الصِّيَامُ جُنَّةٌ" (3). أي: وقاية

ويقول ابن القيم: وَأَمْرٌ مِنْ اسْتَدَّتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ النَّكَاحِ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ بِالصِّيَامِ، وَجَعَلَهُ وَجَاءَ هَذِهِ الشَّهْوَةُ. وَالْمَفْصُودُ أَنَّ مَصَالِحَ الصَّوْمِ لَمَّا كَانَتْ مَشْهُودَةً بِالْعُقُولِ السَّلِيمَةِ وَالْفِطْرِ الْمُسْتَقِيمَةِ، شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ وَحِمِيَّةً لَهُمْ وَجُنَّةً. وَكَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ أَكْمَلَ الْهَدْيِ، وَأَعْظَمَ تَحْصِيلِ لِلْمَفْصُودِ، وَأَسْهَلَهُ عَلَى النَّفُوسِ. وَلَمَّا كَانَ

(1) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج: 2/ص: 27-28).

(2) البقرة: 183.

(3) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، (ج: 3/ص: 24)، ح (1894). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم، (ج: 2/ص: 806)، ح (1151). واللفظ للبخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَطُمُ النَّفُوسِ عَن مَّأْلُوفَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا مِنْ أَشَقِّ الْأُمُورِ وَأَصْعَبِهَا، تَأَخَّرَ فَرَضُهُ إِلَى وَسَطِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، لَمَّا تَوَطَّنَتِ النَّفُوسُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ، وَأَلْفَتِ أَوَامِرَ الْقُرْآنِ، فَنَقَلَتْ إِلَيْهِ بِالْتَدْرِيحِ⁽¹⁾.

فهذه أخلاق الصيام، وما تعود به من نفع على الفرد والمجتمع المسلم على السواء، فالمسلمون اليوم قصرُوا بحق رمضان، فأضحى نهارهم نوماً وأمسى ليلهم سهراً ولهواً، وابتعدوا عن سلوك النبي ﷺ وأصحابه في رمضان والصيام، فلا تعبدٌ أو تعلمٌ، ولا تزاوُرٌ أو تهجدٌ، ولا قرآنٌ. بل الرفث والجهل والأذى، إلا من رحم الله.

ومن الناس من صام رمضان وأحسن صيامه، وقامه فأحسن قيامه، واتخذهُ موسماً لطاعة الله، وشكراً لنعمته عليهم، وما نسوا إخوانهم الضعفاء والمحرومين، واقتدوا بالرسول ﷺ الكريم⁽²⁾.

لقد جعل الله جلّ جلاله رمضان للقلب والروح، وجعله بعض الناس للبطن والمعدة، وجعله تعالى للحلم والصبر، فجعله بعضهم للغضب والطيش، والسباب والشجار، ثم إنه سبحانه جعله تهذيباً للغني ومواساةً للبانس، فجعلوه بعضهم تفاخراً للموائد والأطعمة والأشربة، ونشروا صور موائدهم ليزداد الفقير حسرة⁽³⁾.

ويلاحظ مما سبق، ما يلي الأمور الآتية:

1- النبي ﷺ خير قدوة لأمته.

2- الصائم يفرح بصومه.

3- فوائد الصيام كثيرة لا تتحصر.

4- من واجبتنا الاقتداء بالنبي ﷺ من مدرسة الصيام.

5- للصيام أثر ظاهر وبارز في ترسيخ الأخلاق في المجتمع المسلم.

(1) ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج: 2/ص: 28 و29).

(2) يُنظر: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 294 و295).

(3) يُنظر: المرجع السابق.

الفصل الخامس

أثر الحجّ في الأخلاق

وفيه: تمهيد، ومبحثان:

المبحث الأول: أثر الحج على أخلاق الفرد.

المبحث الثاني: أثر الحج على أخلاق المجتمع.

تمهيد

تعريف الحجّ

في هذا التمهيد تعريف معنى الحج لغةً واصطلاحاً:

أولاً: الحجّ في اللغة:

للحج في اللغة عدة معان، منها: القصد والقدوم والزيارة:

قال ابن فارس: "أصلُ الحجّ: القصدُ، يُقال: حَجَّتُ فلانًا: إذا قَصَدْتَهُ"⁽¹⁾، وأردته. وكذلك من معانيه: القدوم، والإتيان. تقول: حَجَّ علينا فلان أي قدم علينا⁽²⁾.

والحجّ: "الزِّيَارَةُ والإِيتِيَان، وإِثْمًا سَمِيَ حَاجًا بِزِيَارَتِهِ بَيْتِ اللَّهِ"⁽³⁾. وهو مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِكَ: حَجَّجْتُ فلانًا. أي: إذا عُدْتَ إليه وزرته مرّةً بعدَ مرّةٍ. فقيل: حَجُّ البيت، لأنَّ النَّاسَ يَأْتُونَهُ ويقصدونه كلَّ سَنَةٍ⁽⁴⁾.

ثانياً: الحجّ في الاصطلاح:

الحج شرعاً هو: زيارةُ مكانٍ مخصوص، وهو: البيت الحرام وعرفة في مكة، بفعلٍ مخصوصٍ بزمانٍ مخصوص، وهي: أشهر الحج، أو: هو قصدُ لبيت الله تعالى بصفات:

⁽¹⁾ ابن فارس، حلية الفقهاء، (ص: 111). ويُنظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، (ج: 3/ص: 250). ويُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ج: 2/ص: 29). ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج: 2/ص: 226). ويُنظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: 218). ويُنظر: الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص: 360).

⁽²⁾ يُنظر: ابن فارس، مجمل اللغة لابن فارس، (ص: 221). ويُنظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، (ج: 3/ص: 250). ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج: 2/ص: 226).

⁽³⁾ الأزهرى، تهذيب اللغة، (ج: 3/ص: 250).

⁽⁴⁾ يُنظر: ابن فارس، حلية الفقهاء، (ص: 111). ويُنظر: الأزهرى، تهذيب اللغة، (ج: 3/ص: 250). ويُنظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، (ص: 177). ويُنظر: ابن منظور، لسان العرب، (ج: 2/ص: 226). ويُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 14/ص: 319).

مخصوصة، في وصف بشرائط مخصوصة⁽¹⁾. "وَهُوَ نَوْعَانِ: فَالْأَكْبَرُ: حَجَّ الْإِسْلَامِ، وَالْأَصْغَرُ: الْعُمْرَةَ"⁽²⁾. قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾⁽³⁾.

وأشهر الحج هي: "شَوَّالٌ وَذُو الْقَعْدَةِ وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ"⁽⁴⁾.

ويدخل في الحج: العمرة. كما قال ﷺ: "«دَخَلَتْ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ «لَا بَلَّ لِأَبْدٍ أَبَدٍ»"⁽⁵⁾.

وهي لغةً: الزيارة، وقيل: القصد إلى مكان عامر بالناس. ولقد سميت بذلك؛ لأنها تفعل في العمر كله. وشرعاً: قصد الكعبة الشريفة للنسك والطواف والسعي. ولا يغني عنها الحج وإن اشتمل عليها⁽⁶⁾.

العمرة تشترك مع الحج في اللغة، كونها تشتمل على الزيارة.

والعمرة واجبة في العمر مرةً واحدةً، وتسن في كل وقت من العام، وهي في أشهر الحج أفضل من سائر العام، والعمرة في رمضان تعدل أجر حجة⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ يُنظر: البركتي، التعريفات الفقهية، (ص: 76). ويُنظر أيضاً: ابن قدامة المقدسي، المغني، (ج: 3/ص: 213). ويُنظر أيضاً: الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (ج: 2/ص: 118). ويُنظر أيضاً: الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص: 406).

⁽²⁾ الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، (ص: 406).

⁽³⁾ البقرة: 196.

⁽⁴⁾ الأزهرى، تهذيب اللغة، (ج: 3/ص: 250). ويُنظر أيضاً: ابن منظور، لسان العرب، (ج: 2/ص: 226).

⁽⁵⁾ مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، (ج: 2/ص: 886). ح(1218). عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

⁽⁶⁾ يُنظر أيضاً: البهوتي، كشاف القناع عن متن الإقناع، (ج: 2/ص: 376).

⁽⁷⁾ يُنظر: التوجيهي، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، (ص: 670). ويُنظر أيضاً: ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم، (ت: 1353هـ)، منار السبيل في شرح الدليل، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، (ط 7)، 2 مج. 1409-1989م، (ج: 1/ص: 236).

المبحث الأول

أثر الحج على أخلاق الفرد

في كل عبادة من العبادات في الإسلام، يلاحظ للأخلاق دور بارز ونصيب وافر، إذ إن الإسلام دين الرحمة والأخلاق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذا كله ظاهر بشكل جلي وواضح في فريضة الحج، فينعكس على الفرد المؤمن. ويتضح هذا من خلال المطالب الثمانية الآتية:

المطلب الأول: علاقة التقوى في الحج بالأخلاق:

قال تعالى: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٣١﴾﴾⁽¹⁾.

يتزود الحاج في السفر إلى بيت الله الحرام بالتقوى والعمل الصالح، ويجعل لنفسه حياة أفضل بالخلاص من سيئاته، إذ يغسل فيه نفسه من كل خطيئة، ويلبس لباس الطهر والنقاء، بعد أن يتجرد العبد من زينة الحياة الدنيا وزخرفها، فلباسهم واحد، ويلبسون رباً واحداً، وهدفهم واحد وقلبهم واحد، فلا فوارق بينهم، بل التأخي والقربى. فتحتوي هذه الفريضة على أسمى معاني الأخلاق التي أشار إليها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ﴾⁽²⁾⁽³⁾. نركز على التقوى.

فأمر تبارك وتعالى حجاج بيته الحرام أن يتزودوا بالتقوى، فالتقوى جماع الأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة التي تقي الإنسان غضب الله وسخطه، ونهاهم عما يسيء إلى أخلاقيات هذا اللقاء الإسلامي الكبير، أو يؤثر على العلاقة الفاضلة التي تجمع الناس في أداء حجهم ومناسكهم، حتى يصبح حجهم مبروراً، وذنباهم مغفوراً. قال ﷺ: "وَالْحُجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ

(1) البقرة: 197.

(2) البقرة: 197.

(3) يُنظر: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 56).

جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ⁽¹⁾. فالحج المبرور هو الذي يزداد الإنسان به هدىً وتقىً وزهداً عن محارم الله، ولا يخالطه شيء من الآثام، ويجعل صاحبه بأن يكون حاله خيراً من حاله قبل أن يؤدي هذه الفريضة، وأن يبقى على ذلك⁽²⁾.

فإذا ما اتقى الإنسان ربه جلّ وعلا، انغرست في قلبه الخشية منه سبحانه، وانضبطت نفسه وجوارحه بضوابط الإيمان والقيم والأخلاق الحميدة الفاضلة. وقام بتعظيم شعائر الله وحرمه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾⁽³⁾.

وأمر الله تعالى بفعل الخير الذي هو نتاج التقوى، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁽⁴⁾.

قال الزمخشري: "وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ حث على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البرّ والتقوى، ومكان الجدل الوفاق والأخلاق الجميلة.

أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه، وينصره قوله تعالى وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى أي اجعلوا زادكم إلى الآخرة اتقاء القبائح فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ اتقاؤها"⁽⁵⁾.

فأركان الإسلام ومنها الحج، تدفع المؤمن إلى التقوى وعمل الصالحات، وإلى التخلق بالأخلاق الفاضلة؛ لأن الإسلام لا يعدّ العبادة مجرد إقامة للشعائر وحسب، ولكنها دافع قوي إلى البر الذي يدفع الإنسان إلى حسن الخلق والفضائل⁽⁶⁾.

(1) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، أبواب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها، (ج: 3/ص: 2).
ح(1773). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة، (ج: 2/ص: 983)،
ح(1349). عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) يُنظر: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 56 و57).

(3) الحج: 32.

(4) البقرة: 197.

(5) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (ج: 1/ص: 244).

(6) يُنظر: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 57).

المطلب الثاني: الحج استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام بتزكية النفوس وتطهيرها:

إن في الحج تزكية للنفوس، فهو يطهرها من براثنها، وما فيها من آفات؛ لتزكو وتنقى، وتعود كما خلقت نقيّةً سالحةً على فطرتها.

قال تعالى، على لسان إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (1). لقد استجاب الله دعوتهما، وبعث فيهم محمداً ﷺ؛ ليعلمهم طاعة الله والإخلاص له سبحانه، والفضائل والأخلاق (2).

وقال جلّ جلاله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (3).

يذكّر الله تعالى عباده المؤمنين، بما أنعم عليهم من بعثة الرسول محمد ﷺ إليهم، يتلو عليهم آيات الله مبيّنات ويزكّيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق، وندس النفوس، وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعلمهم الكتاب وهو: القرآن، والحكمة وهي: السنة، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون. فكانوا في الجاهلية في ضلال مبين، فانقلبوا ببركة رسالته، ويمن سفارته، إلى حال الأولياء، وسجايا العلماء، فصاروا أكثر الناس علماً، وأبرهم قلوباً، وأقلهم تكلفاً، وأصدقهم لهجة (4).

لقد منّ الله تعالى عليهم برسوله الكريم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (5).

(1) البقرة: 129.

(2) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 1/ص: 444-445).

(3) البقرة: 151.

(4) يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 1/ص: 464).

(5) آل عمران: 164.

فالأيات التي تشير للتزكية كثيرة، وهي أكثر ما تتضح في موسم الحج الأكبر الجامع.

ومن هنا فإن الحج موسم كبير لكسب الأجر، وغسل الذنوب، وتكفير السيئات، ونزول الرحمات، يقف العبد فيه بين يدي ربه مقراً بتوحيده، معترفاً بذنبه وعجزه وتقصيره عن القيام بحق ربه، فيرجع من الحج نقياً من الذنوب كيوم ولدته أمه، فيتذكر اليوم الآخر وأهواله، ويستشعر فيه لذة العبودية لله، ويعرف عظمة ربه، وافتقار الخلائق كلها إليه⁽¹⁾.

ويتذكر المسلم الموت والانتقال إلى الدار الآخرة، وذلك إذا تجرد الحاج من ثيابه التي اعتادها، ولبس الإحرام الذي يشبه الأكفان، ورأى: الناس جميعاً من الرئيس والمرؤوس، والملك، والوزير، والغني، والفقير، والعربي، والأعجمي والأسود، والأبيض، والصغير، والكبير، كلهم بلباس واحد، لا فرق بينهم في ذلك، وهذا يُذكر الإنسان بخروجه من الدنيا، لا يحمل معه إلا هذه الأكفان، التي تبلى بعد ذلك سريعاً⁽²⁾. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾⁽³⁾.

فإذا رأى المسلم ذلك، ازداد الإيمان في قلبه، واطمأن قلبه وخشع بذكر الله، وارعوى عن كل شيء يناقض التقوى من أقوال أو أفعال.

المطلب الثالث: علاقة الشعور الروحاني للحاج بالأخلاق:

إذا انتهى المؤمنون من رمضان وما فيه من رحلة روحية إيمانية، خلصوا منه بتزكية النفس والروح، لما هذبوا فيه مما امتنعوا فيه من المباحات وغير ذلك، فإنهم بدخول شهر شوال، تمتلئ قلوبهم برحلة إيمانية أخرى، يشارك فيها الروح والبدن، يأتيها القادر عليها تاركاً وراءه أهله وماله ووطنه وحظوظ النفس، متحملاً في سبيل ربه عناء السفر والطريق، ثم يعود آمناً مطمئناً،

(1) يُنظر: التويجري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، (ص: 649-650). ويُنظر أيضاً: التويجري، موسوعة الفقه الإسلامي، (ج: 3/ص: 221).

(2) يُنظر: القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، وفضائل، ومنافع، وفوائد، وشروط، وأركان، وواجبات، وآداب، ومسائل، وحكم، وأحكام، مركز الدعوة والإرشاد، القصب، (ط 2)، 1431هـ-2010م، (ص: 67).

(3) الأنعام: 94.

آخذاً بنفسه وأمته إلى سبيل الهدى والرشاد. وهذا جانب التخلية والتطهر من الأدران النفسية والفوارق الاجتماعية، والتخلي بالفضائل المزكية للنفوس، والمؤلفة للقلوب، والمقربة إلى علام الغيوب⁽¹⁾. وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾⁽²⁾.

فالحج مدرسة روحية، يتزود بها المسلم، فتمتلئ نفسه خشية الله، وعزماً على طاعته، وندماً على معصيته، وتتغذى فيه عاطفة الحب لله ولرسوله وللمؤمنين، فتنقيظ فيه مشاعر الأخوة والتآلف لأبناء دينه في كل مكان⁽³⁾.

المطلب الرابع: الحج يعمل على مراجعة الحاج لنفسه، وتصويب مساريه الأخلاقي:

الحج ينمي الأخلاق نمواً في نفس الحاج، فالحاج قبل ذهابه إلى الحج، يقطع علاقته بالدنيا، فيقوم باستسماح إخوانه قبل ذهابه، ويرد إليهم مظالمهم، ويعتذر منهم، ليذهب بريء الذمة لحجه، تائباً من كل المعاصي، فلا يلتفت خلفه، ولا يلوي على شيء⁽⁴⁾. حتى إذا وافته منيته مات مليئاً⁽⁵⁾، لا شيء من حقوق الناس تتعلق بذمته.

وجعل الإسلام لأداء فريضة الحج زماناً معلوماً من السنة العربية، وهو: شوال، وذو القعدة وذو الحجة. وشوال هو الشهر الذي يعقب رمضان، وله في الإسلام اعتباران قويان جديران بالتقدير والرعاية، وذلك لما لهما من أثر في استدامة التقويم الخلفي، وتصفية الروح التي حصل

⁽¹⁾ يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 116 و 117). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 302 و 303).

⁽²⁾ البقرة: 197.

⁽³⁾ يُنظر: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 302 و 303).

⁽⁴⁾ يُنظر: حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام، القاهرة، مصر، (ط 10)، 1424هـ-2004م، (ص: 71).

⁽⁵⁾ ثبت أن الحاج إذا مات في الحج، بعث مليئاً، وجاء هذا في حديث الرجل الذي كان في الحج، فوطأته دابته فمات، فقال ﷺ: «اغسلوه بماءٍ وسِدْرٍ، وكفّنوه في ثوبين، ولا تُحَنِّطُوهُ، ولا تُحْمَرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلْبِئاً». (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في ثوبين، (ج: 2/ص: 75). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، اب ما يفعل بالمحرم إذا مات، (ج: 2/ص: 865)، ح(1206). واللفظ للبخاري. عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

عليها المسلم بالصيام والقيام في الشهر الفضيل. وفي ذلك حكمة بالغة في زمن الحج، واختياره⁽¹⁾.

وهذان الاعتباران:

أولهما: أن شوالاً أول شهر من أشهر الحج.

ثانيهما: أنه يبشر بالأشهر الحرم: ذي القعدة وذي الحجة ومحرم.

فقد اعتنى القرآن الكريم بالحج، وبالأشهر الحرم، بعنايته بتطهير النفس من المظالم، وكف العدوان والبغي، ولَفَت انتباه المؤمنين إلى ما في هذه الأشهر كلها من بواعث البر والتقوى، والترفع عن مواطن الإثم والطغيان والعدوان، وانتقاص الحقوق والواجبات، قال تعالى: ﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ﴾⁽²⁾.

فالحج لا بد أن يخلو من الرفث والفسوق والجدال⁽³⁾:

1. فالرفث: التعريض بذكر الجماع ومقدماته، ومغازلة النساء، لأنه يهيج داعية الجماع المحظور. أو هو: كل ما يُعاب من قول وفعل.

2. والفسوق: المعاصي، أو: الفاحش من القول كالسباب وخلافه.

3. والجدال: المخاصمة والملاحاة مع الأخ أو الصاحب حتى يغضب، مما يورث الضغائن والفرقة، ويناقض حسن الخلق.

وضحت النصوص الغاية والمقصد الأخلاقي من الحج، فترك الرفث والفسوق والجدال، خصال أخلاقية لا بدّ منها في الحج كما وجهت الآية الكريمة. فمن قصد بيت الله الحرام، حاجاً متقرباً، فلا يتصور أن يكون متلبساً بالقول والفعل الذي فيه خصومة مع الناس. ومن آثار الشعائر على القلب والنفس: عفة اللسان عن القول الباطل، والتتره عن الفعل الآثم، والتحلي بمكارم

⁽¹⁾ يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 116).

⁽²⁾ البقرة: 197.

⁽³⁾ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج: 1/ص: 544-547).

الأخلاق⁽¹⁾.

وهذا من شعائر الله تعالى، وتعظيم حرمه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُثَلَّى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾⁽²⁾.

والحج يربي النفس على أمور كثيرة منها: الاستسلام والتسليم، وبذل الجهد والمال في سبيل الله، والتعاون والتعارف، والقيام لله بشعائره، وهذا كله له آثاره في تزكية النفس، ورفع الأخلاق فيها.

ولكي يقطف الحاج ثمرة حبه فإنه لا بد له من الآداب والأعمال القلبية فيه، فالنفقة يجب أن تكون من حلال، كما أنه يجب أن يبتعد عن الرفث والفسوق والجدال، وغير ذلك⁽³⁾.

المطلب الخامس: الحج يكسب المؤمن عقيدة التوحيد:

إن العرب كانوا إذا حجوا البيت أشركوا، وذبخوا لغير الله، وفعلوا كثيراً من المعاصي، وأحدثوا وغيروا في كيفية الحج تقاليد معينة تبعاً للأهواء، فطافوا بالبيت عرايا، زاعمين أنه لا يليق بهم أن يطوفوا بثياب ارتكبوا فيها الذنوب والآثام، وكان طوافهم مقترنا بالتصفيق والتصفير، وهكذا غير العرب وبدلوا في الحج⁽⁴⁾.

إلا أن جاء الإسلام، فجدد التوحيد في النفوس، وأحيا دعوة الحق والهدى في القلوب، وأقام العبادة الصحيحة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَتِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾⁽⁵⁾. فطهر البيت من الأصنام⁽⁶⁾. وأزال عنه كل مظاهر الشرك، فأصبح

(1) يُنظر: بابكر، دور الشريعة ومقاصدها في بناء الأخلاق، (ص: 100-101).

(2) البقرة: 30.

(3) يُنظر: حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، (ص: 65-66). ويُنظر أيضاً: نصيف، أخلاقنا في الميزان، (ص: 46).

(4) يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 114). ويُنظر أيضاً: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 299).

وُنظر أيضاً: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 13/ص: 524).

(5) الأنعام: 161.

(6) يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 114-115). ويُنظر أيضاً: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن،

(ج: 4/ص: 184-187).

الحج مظهراً بارزاً من مظاهر التوحيد، ومعلماً لتوحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته، وأضحت مناسك الحج توحيداً لله وإظهاراً لشعائره، بعد أن كانت شركاً به.

قال سبحانه: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾⁽¹⁾. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾⁽²⁾. وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾⁽³⁾.

لقد كانت عادة العرب إذا قضت حجها تقف عند الجمرة، فتتفاخر بالآباء، وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم، وغير ذلك، حتى إن الواحد منهم ليقول: اللهم إن أبي كان كذا وكذا، عظيماً قوياً، كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته، فلا يذكر غير أبيه، فنزلت الآية؛ ليلزموا أنفسهم ذكر الله أكثر من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية⁽⁴⁾.

وفي الآية الكريمة شكر للمولى عزّ شأنه، وتذكير للمؤمنين لكي يذكروه سبحانه بعد أن هداهم للتوحيد ونور الإسلام، بفضلته ومنه ورحمته، وبعد ما أخرجهم من الضلال والشرك المبين، قال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾⁽⁵⁾.

يقول الطبري: "واذكروا الله أيها المؤمنون عند المشعر الحرام بالثناء عليه، والشكر له على أياديه عندهم، وليكن ذكركم إياه بالخضوع لأمره، والطاعة له والشكر على ما أنعم عليكم من التوفيق، لما وفقكم له من سنن إبراهيم خليله بعد الذي كنتم فيه من الشرك والحيرة والعمى عن طريق الحق وبعد الضلالة كذكره إياكم بالهدى، حتى استنقذكم من النار به بعد أن كنتم على شفا حفرة منها، فنجاكم منها. وذلك هو معنى قوله: "كما هداكم"⁽⁶⁾.

(1) البقرة: 198.

(2) البقرة: 200.

(3) البقرة: 203.

(4) يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج: 2/ص: 431).

(5) البقرة: 198.

(6) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 4/ص: 183).

فأمر سبحانه وتعالى، بألا يقرب البيت الحرام مشرك بعد ذلك، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾ (1).

إن أعظم أمر تعلمه المؤمنون من مناسك الحج هو خُلق التوحيد، فهو أسمى الأعمال التي يصلح بها الإيمان، وتسمو بها الأخلاق، وبالحج أكمل الله تعالى دينه الحنيف، فقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (2).

نزلت هذه الآية، على رسوله ﷺ وهو واقف بعرفات، وقد أطاف به الناس، وأظهروا معالم التوحيد لله وحده بعد أن أكمل نعمته على المؤمنين به، وتهدمت منارات الجاهلية ومناسكهم، واضمحل الشرك، ولم يطف حول البيت عزبان أو مشرك (3).

المطلب السادس: الحج ينمي في النفس خُلق الكرم والسخاء:

الحج ينمي في النفس الكرم، والبذل، والسخاء، ففي الحج يقوم الحاج بذبح الهدى والأضاحي، وإطعام الفقراء المحتاجين، بطيب نفس وسخاء؛ تقرباً إلى الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ (4).

أي: وأطعموا البائس والفقير، مما تذبحون أو تتحرون هنالك من بهيمة الأنعام من هديكم وبُدنكم، والبائس هو: الذي ضرّ به الجوع والحاجة، والفقير: الذي لا شيء له (5).

وقال تعالى في سورة الحج: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (6). وقال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (7).

(1) التوبة: 28.

(2) المائدة: 3.

(3) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 9/ص: 522).

(4) الحج: 28.

(5) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 18/ص: 611).

(6) الحج: 36.

(7) الكوثر: 2.

والْبُدْنَ هي: الإبل العظيمة الأجسام الضخمة، والقانع: المستغني بما أعطي وهو في بيته، والمعتز: الذي يتعرض لك ويلم بك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل. فهؤلاء الذين أمر أن يطعموا من البُدْنَ⁽¹⁾.

والغاية من ذلك كله: التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ وَتَقَرُّوا بِاللَّهِ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾⁽²⁾.

إن أفضل الحج يكون في ذبح الأنعام والأضاحي، وتقديمها للفقراء، فعن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ: "أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْعَجُّ وَالنَّجُّ»"⁽³⁾.

"والعجُّ" هو: رفع الصوت بالتلبية، "والنجُّ" هو: سيلان دماء الهدى، والأضاحي⁽⁴⁾.

كما أن المسلم إذا نوى الحج لبيت الله الحرام فإنه يبدأ بجمع المال الحلال؛ ليتزود به إلى رحلة الحج، وهي رحلة مكلفة مادياً، ومع ذلك فإن المؤمن يبذل هذا المال وهو فرح مسرور، وإذا عاد إلى بلده ينسى ما أنفق؛ لأنه يحتسبه عند الله تعالى.

فكل هذا الإنفاق عند الاستعداد للحج ودفع رسومه وتكاليفه، والإنفاق عند أدائه يعوّد النفس على الكرم والجود والسخاء، وهذا كله من التقوى والعمل الصالح، ولا بأس بالتوسع في الزاد والبذل والإنفاق، ولكن من دون إسراف ولا تبذير ولا مخيلة⁽⁵⁾.

(1) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 18/ص: 630-636).

(2) الحج: 37.

(3) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الحج، باب ما جاء في فضل التلبية والنحر، (ج: 3/ص: 180)، ح(827). وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب رفع الصوت، بالتلبية، (ج: 2/ص: 975). ح(2924). وأورده: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (ج: 1/ص: 248)، ح(1100). وقال الألباني: حسن.

(4) يُنظر: المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، (ت: 1353هـ)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، 10 مج. (ج: 3/ص: 476).

(5) يُنظر: حوى، المستخلص في تزيكئة الأنفس، (ص: 66).

المطلب السابع: الحج يعلم التحلي بخلق الصبر:

الحج مدرسة يتعود ويتعلم فيها المسلم على الصبر والتحمل، لما فيه من مجاهدة للنفس، ومن أحكام تهذيبية لها.

ولما فيه من تذكير بأحوال الناس، ولما فيه من توطين النفس على فراق الأهل والولد⁽¹⁾، والأوطان والعشيرة؛ لأداء الحج، وزيارة البيت العتيق، وهذا فيه فوائد عظيمة، ومنافع كثيرة؛ لأنه في هذه العبادة: يمتطي والأخطار، ويقطع الطرق الطوال، يرجو رحمة ربه، ويخاف عقابه سبحانه، فما أحره بالثواب الجزيل، والأجر العظيم، من المولى الكريم⁽²⁾.

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾⁽³⁾.

قال الطبري في تفسير الآية الكريمة: "أَعْلِمَ وَنَادَى فِي النَّاسِ أَنْ حَجُّوا أَيُّهَا النَّاسُ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ (يَأْتُونَكَ رِجَالًا) يَقُولُ: فَإِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ الْبَيْتَ الَّذِي تَأْمُرُهُمْ بِحُجِّهِ مَشَاءَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ (وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ) يَقُولُ: وَرِكْبَانًا عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ، وَهِيَ الْإِبِلُ الْمَهَاذِيلُ (يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) يَقُولُ: تَأْتِي هَذِهِ الضَّوَامِرُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ: يَقُولُ: مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَمَكَانٍ وَمَسَلِكٍ بَعِيدٍ."⁽⁴⁾

إن السفر للحج فيه مشقة في الذهاب والإياب، وتجشم وعناء، وهذا يحتاج إلى صبر وتحمل، فالسفر قطعة من العذاب، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: "السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ"⁽⁵⁾.

(1) يُنْظَرُ: حوى، المستخلص في تزكية الأنفس، (ص: 65).

(2) يُنْظَرُ: الفحطاني، مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 69).

(3) الحج: 27.

(4) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 18/ص: 605).

(5) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، أبواب العمرة، باب: السفر قطعة من العذاب، (ج: 3/ص: 8).

ح(1804). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب، واستحباب تعجيل المسافر إلى أهله بعد قضاء شغله، (ج: 3/ص: 1526)، ح(1927). واللفظ للبخاري.

والحاجّ الصابر يذهب للحج؛ ليؤدي فريضة ابتغاء مرضاة الله، صابراً محتسباً، لكل ما يواجهه من عنثات ومشاق، وهذا من شأنه أن يعلمه الصبر، على ما يعترضه من نوائب ومصائب.

وكما أن الكثير من مناسك الحج، تحتاج من المؤمن يصبر على أدائها، ومنه: الإحرام، والتلبية، واجتتاب كثير من الأمور التي كان ولا يزال معتاداً عليها، فيكشف الرجل رأسه، ويخلع ثيابه ويبدلها بالإزار والرداء، والطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفات، وغير ذلك مما شرع الله في الحج⁽¹⁾.

فيتعلّم المسلم من الحج، تحمل المشاق، والعنت، فالحج عبادة ذات صلة وارتباط بالأخلاق⁽²⁾.

المطلب الثامن: الحج تذلل وتواضع وشكر لله عز وجل:

في الحج يتعلم المؤمن التذلل لله تعالى، وخضوع له سبحانه؛ وذلك لأن الحاج والمعتمر يرفض أسباب الترف والتزين، والتطيب، ويلبس ثياب الإحرام مظهرًا فقره لربه، متجرداً عن كل ما يشغله ويصرفه عن مولاه، فيستحق بذلك مغفرته سبحانه، ثم يقف الحاج في عرفة متضرعاً، متذللاً، حامداً شاكرًا، لربه، ومستغفراً لذنوبه وعنثاته، سائلاً ربه ما يحتاجه في دنياه وأخراه، وفي طوافه بالبيت العتيق يلوذ بالله ويلجأ إليه من ذنوبه، ومن هوى نفسه والشيطان ووساوسه⁽³⁾.

وشكر نعمة الفراغ، وشكر نعمة الحياة، وشكر نعمة القوة، وهذه النعم من أعظم ما يتمتع به الإنسان من نعم الدنيا؛ لأن الإنسان بهذه النعم يجهد نفسه، وينفق ماله، ويشغل وقته، ويغتنم حياته وقوته، في طاعة ربه، والتقرب إليه سبحانه وتعالى⁽⁴⁾.

(1) يُنظر: ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (ت: 1420هـ)، مجموع فتاوى، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، 30 جزءاً. (ج: 2/ص: 234). ويُنظر أيضاً: القحطاني، مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 69).

(2) يُنظر: بابر، دور الشريعة ومقاصدها في بناء الأخلاق، (ص: 101).

(3) يُنظر: القحطاني، مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 65). ويُنظر أيضاً: الموسوعة الفقهية الكويتية، (ج: 17/ص: 26).

(4) يُنظر: المرجعان السابقان.

المبحث الثاني

أثر الحج على أخلاق المجتمع

تحوي فريضة الحج الكثير من الأخلاق والفضائل، التي لها أثر على المجتمع المسلم، وذلك في كثير من الأمور، وتتضح من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: الأخوة الإيمانية:

الحج اجتماع عظيم يرى فيه المسلم إخوانه المسلمين من ذرية أبيه آدم، فيفرح ويستبشر بهم، ويفشي بينهم السلام، ويطعم الطعام، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويوصيهم بتقوى الله عز وجل⁽¹⁾. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽²⁾.

في الحج اجتماع للبر والمنافع والإحسان، يدعوا فيه الدعاة الصادقون، ويعلم فيه العلماء علوم الشريعة الغراء، ويفتي فيه المفتون، ويعظ فيه الواعظون، ويتعارف فيه المؤمنون، وينفق فيه الكرماء، ويتصدق فيه الأغنياء، ويطعم فيه الأسخياء، فيؤدي الحجاج نسكهم على بصيرة، ويعودون إلى بلادهم بالهدى والعلم، والسنن النبوية، والأخلاق الإسلامية⁽³⁾.

وكل ذلك من التعاون على البر والخير، والتواصي بالحق والصبر الذي أمر الله بهما، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾⁽⁴⁾. وقال جلّ جلاله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾⁽⁵⁾.

وعندما يجتمع المسلمون في الحج، من جميع أقطار الأرض في مركز واحد، فيه: أرواحهم ومهوى أفئدتهم، فيتعرف بعضهم على بعض، ويألف بعضهم بعضاً، هناك حيث تذوب الفوارق بين الناس، بكل أشكالها وصورها، وتتحد كلمة المؤمنين في أعظم مؤتمر بشري، فتجتمع

(1) يُنظر: التوجيهي، موسوعة الفقه الإسلامي، (ج: 3/ص: 221).

(2) الحجرات: 10.

(3) يُنظر: التوجيهي، موسوعة الفقه الإسلامي، (ج: 3/ص: 221).

(4) المائدة: 2.

(5) العصر: 3.

كلمة المسلمين فيه على البر والتقوى، وعلى التواصي بالحق والتواصي بالصبر، فمن أهداف الحج العظيم: ربط أسباب الحياة بأسباب السماء، وربط القلوب بالإيمان والتوحيد، وكل ما يرضي الله تبارك وتعالى⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الحج اجتماع للمسلمين وإظهار لقوتهم:

يتصل المسلمون في الحج بعضهم ببعض، من جميع أرجاء المعمورة، فيحصل بذلك الخير الكثير، والتشاور في كثير من أمورهم، وتعاونهم في مصالحهم العاجلة والآجلة، واستفادة بعضهم من بعض، وتوحيد كلمتهم على الحق، وكل ذلك من جملة منافع الحج التي أشار إليها تعالى بقوله: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾⁽²⁾⁽³⁾.

فكل ما يفعله المؤمن والمؤمنة، من طاعة لله، ومن نفع للعباد، داخل في المنافع، فطهارة النفس منفعة، والصدقة على الفقير منفعة، وتعليم الجاهل منفعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منفعة، والدعوة إلى الله، كلها منافع عظيمة، والصلاة في المسجد الحرام منفعة، وكل ما تفعله مما ينفع الناس من قول، أو فعل، أو صدقة، والعمل على إظهار الإسلام بسماحته وأحكامه الرشيدة منفعة، والعمل على اتحاد المسلمين وتعاونهم وعدم تفرقهم منفعة، ونبذ العصبية والقبلية منفعة، وغيرها مما شرعه الله داخل في المنافع، فينبغي للحاج أن يستغل هذه الفرص العظيمة والجليلة⁽⁴⁾.

وهذا من التزود بالتقوى التي هي خير زاد في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾⁽⁵⁾. ففي ذلك الاستفادة من العلماء الربانيين، وتعليم الناس الخير، والدعوة إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بالأسلوب

(1) يُنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، (ج: 17/ص: 27).

(2) الحج: 28.

(3) يُنظر: ابن باز، مجموع فتاوى، (ج: 2/ص: 234).

(4) يُنظر: ابن باز، مجموع فتاوى، (ج: 16/ص: 167-170). ويُنظر أيضاً: القحطاني، مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة، (ص: 69-70). ويُنظر أيضاً: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 132-133).

(5) البقرة: 197.

الحسن، والحكمة والموعظة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (1)(2).

والحج وحدة في المشاعر والشعائر، ووحدة في الهدف والعمل والقول، فلا عصبية للون أو جنس أو طبقة، فهم جميعاً مسلمون، يعبدون رباً واحداً ويتبعون رسولاً واحداً، ويطوفون ببيت واحد، ويقرؤون كتاباً واحداً، ويؤدون أعمالاً واحدةً، فهذا هو الاتحاد والوحدة الإسلامية الربانية(3).

فالحج شوكة في حلق الأعداء الحاقدين، وقذى في أعين خصوم الإسلام، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (4). فلقد كتب أحد أعداء الإسلام تقريراً له، فكان مما قال فيه: سيظل الإسلام صخرةً عاتيةً تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي، ما دام للإسلام هذه الأربع: القرآن والأزهر واجتماع الجمعة الأسبوعي، واجتماع الحج في كل عام(5).

إن اجتماع الحجاج فيما بينهم، وتعاونهم، يولد القوة والاتحاد، وهذا ناتج عن فضيلة ومعاني الأخلاق الإسلامية، التي يجب أن يتحلوا بها، وخلاف الاتحاد سيكون التنازع والفشل، وإنما يكون ذلك بذهاب الأخلاق، وغياب الوازع الديني، والضمائر الحية. قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (6).

المطلب الثالث: الحج اعتصام بحبل الله جلّ في علاه:

لقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله المتين القويم، فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ

(1) النحل: 125.

(2) يُنظر: ابن باز، مجموع فتاوى، (ج: 2/ص: 234).

(3) يُنظر: الفرضاي، العبادة في الإسلام، (ص: 306).

(4) التوبة: 32.

(5) يُنظر: الفرضاي، العبادة في الإسلام، (ص: 310).

(6) الأنفال: 46.

إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣٣﴾ (1).

ومعنى الاعتصام بحبله سبحانه، أي: التمسك بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهدته إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمره سبحانه (2).

فالاعتصام بحبل الله، يعود على الناس بالأخلاق، والنفع، والخير، فهو (3):

1- يقضي على الشهوات والأهواء، والعصبية القبلية والمذهبية والحزبية، التي تشعل نار الفرقة.

2- الاعتصام ينقي العقائد مما يشوبها من الشرك والابتداع.

3- في الاعتصام علاج وقوة.

في الاعتصام وحدة المجتمع ووحدة كلمته وسرّ قوته، وفي عدم الاعتصام بحبل الله المتين تفويض لدعائم المجتمعات وهدمها، وهدم الأخلاق الكريمة على الاعتصام، وبما أن الحج استجابة لأمر الله، وتذلل في سبيل طاعته، وتآلف للقلوب وتلاق لها على طاعة الله تعالى فإنه يحقق الاعتصام بحبل الله تبارك وتعالى.

إن الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونهانا عن الفرقة والاختلاف، قال لنا في كتابه الكريم: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (4). وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (5). وربنا واحد، وكتابنا واحد، ونبينا واحد، والدين لا يحتمل التفرق ولا الاختلاف (6).

(1) آل عمران: 103.

(2) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 7/ص: 70).

(3) يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 133-135).

(4) آل عمران: 103.

(5) آل عمران: 105.

(6) يُنظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، (ج: 3/ص: 181-182).

ففي الحج تقوم العبادات والدعوة والتعليم، والتواصي بالحق والصبر، وتحيا فيه السنن، وتموت البدع، ويتعلم فيه الجاهل، ويتوب العاصي، ويتذكر الغافل، ويكرم فيه ضيوف الرحمن⁽¹⁾. وكل ذلك يعزز من القيم والأخلاق، والاعتصام بحبل الله تبارك وتعالى، التي يسعى الإسلام إلى تربية المؤمنين عليها.

المطلب الرابع: المساواة:

المساواة خُلِقَ من أخلاق الحج العظيمة، فيكون الناس على صعيد واحد متساوين، لا فوارق تُرى بينهم، ولا تعلق طبقة على طبقة، كلهم سواء.

إن الحج مظهر عملي للأخوة الإسلامية، ووحدة الأمة الإسلامية، حيث تتلاشى في الحج فوارق الجنس واللون واللغة والوطن والطبقة، وتبرز العبودية والأخوة، فالجميع بلباس واحد، يتجهون لقبله واحدة، ويعبدون إلهاً واحداً⁽²⁾. فلا يرى فقر فقير، أو غنى غني⁽³⁾.

ولقد كانوا في الجاهلية يتخذون من موسم الحج مجالاً للتفاخر بالأنساب والآباء، فخطبهم النبي ﷺ، وأعلن فيهم مبدأ الإسلام العالمي بالمساواة⁽⁴⁾.

فقال ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبْلَغْتُ"، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ..."⁽⁵⁾.

وأكد الله سبحانه وحدة الأمة في كتابه الكريم، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾⁽⁶⁾.

(1) يُنظر: التويري، موسوعة الفقه الإسلامي، (ج: 3/ص: 222).

(2) يُنظر: التويري، مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة، (ص: 649).

(3) يُنظر: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 305).

(4) يُنظر: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 306).

(5) أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحاديث رجال من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، (ج: 38/ص: 474)، ح(23489). قال محققو المسند: إسناده صحيح.

(6) الحجرات: 13.

ومن الأخلاق التي أرساها الإسلام العظيم في نفوس المسلمين من خلال فريضة الحج، أنه حرص على غرس المساواة في النفوس، وإزالة ما فيها من كبر واستعلاء على الآخرين، فقد كان العرب قبل الإسلام يترفع فريق منهم عن الوقوف مع الناس بعرفة اعتقاداً منهم بأنهم فوق الناس جميعاً⁽¹⁾. حتى جاء الإسلام فغير هذه المفاهيم وألغى تلك العادات.

لقد أمر الإسلام أربابَ العظمة الزائفة أن يقفوا مع الناس، وأن يفيضوا من حيث أفاض الناس؛ تقريراً لمبدأ المساواة الذي جعله الله بين عباده. قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽²⁾(3).

وأعمال الحج ليس فيها امتياز لأحد على أحد، ولا لفئة على فئة، بل إن المساواة وترك التفاخر من مقاصد هذه العبادة، وما المشركون يقومون به من التفاخر لا وجه له، فعليهم أن يفيضوا مع الناس من مكان واحد⁽⁴⁾.

فيتميز الحج بتدريب الحاج على التجرد لله، فيترك الدنيا وملاهيها وزخرفها، وهذه الدروس تزكي النفوس وترفع من شأنها، وتنقيها من الكبر والغرور إلى رياض التواضع وخفض الجناح لإخوانه المؤمنين، ففي الحج يتجمع المسلمون من كل حدب وصوب، في زمن واحد ومكان واحد دون تمايز بين شعب وآخر أو بين فرد وغيره⁽⁵⁾.

(1) يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 114). ويُنظر أيضاً: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 4/ص: 184-187).

(2) البقرة: 199.

(3) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 4/ص: 184-187).

(4) يُنظر: رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، (ت: 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، 12 مج. (ج: 2/ص: 188).

(5) يُنظر: العزاوي، مصطفى، ثقافة الحاج عبادة وأخلاق، فن وانضباط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1427هـ-2006م، (ص: 11).

المطلب الخامس: الحج أمان للناس:

الحج أمان للناس، قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾⁽¹⁾. وجعله الله مثاباً ومأوى لهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾⁽²⁾. والمثابة، أي: هم الذين يعدون إليه في كل سنة، لا يدعه الإنسان إذا أتاه مرةً أن يعود إليه مرةً أخرى⁽³⁾.

ففي الحج يتربى المؤمن على خُلق الأمان والأمان، فهو بالأشهر الحرم، ولقد امتنع الناس من الاقتتال بالأشهر الحرم، وسفك الدماء، وسائر المظالم والخيانات، وقد أوصى الله تعالى المؤمنين أن يحافظوا على شعائر الله تعالى، وتحقيق الأمان والأمان في الأشهر الحرم⁽⁴⁾.

فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾⁽⁵⁾.

إن الحج له فضيلة من حيث المكان والزمان، فهو في الأرض التي شهدت الهدى والنور، وهذه مكانة مكانية. وبشهر ذي القعدة وذي الحجة، وهنا حرمة زمانية، قصد بذلك تأمين الطريق لأداء الحج، وزيارة بيته، وهو في الوقت نفسه يغرس في القلوب الأمان والطمأنينة. فتلك الحرمة الزمانية، حرمة الأشهر الحرم، ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾⁽⁶⁾⁽⁷⁾.

ودائرة الأمان والأمان تشمل البيت الحرام والبلد الحرام، والأشهر الحرم. وقد اتسع النطاق إلى غير ذلك حتى شملت الحيوانات والأشجار⁽⁸⁾.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾⁽⁹⁾. ومن حديث ابن عباس

(1) آل عمران: 97.

(2) البقرة: 125.

(3) يُنظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج: 2/ص: 27).

(4) يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 117-118).

(5) المائدة: 2.

(6) التوبة: 36.

(7) يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 117-118).

(8) يُنظر: المرجع السابق، (ص: 118).

(9) المائدة: 95.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: "حَرَّمَ اللَّهُ مَكَّةَ فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا لِأَحَدٍ بَعْدِي، أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ، لَا يُخْتَلَى خَلَاهَا وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلَا يُفْرَسُ صَيْدُهَا..."⁽¹⁾.

وفي ذلك فرصة للتفاهم والعمل على قمع أسباب الخلاف والتخاصم، وإقرار الأمن والسلام، فهو هدنة إلهية يتدبر الناس فيها شؤونهم، فيتعرفون على مهمتهم في الحياة، وأنها مهمة التعمير، وإسعاد البشرية على أساس المحبة والتعاون، فيكفون عن العدوان، وعن الشح والجشع المثير للحروب، والقاضي على الحياة والاطمئنان، وعلى خلافة الإنسان في الأرض⁽²⁾.

ولقد خُلِقَ الخلقُ على سليقة تدفعهم إلى التحاسد والتباغض والتقاطع، وإلى القتل والتخريب، وإلى السلب والاستعلاء، بحكم ما ركب فيهم من قوتي الغضب والشهوة. فاقترضت الحكمة الإلهية أن يكون لهم رادع من ضمائرهم ونفوسهم، ومن هنا عظم البيت الحرام في قلوبهم، وملاً نفوسهم بهيبته⁽³⁾.

فالبيت مكانه مخصوص ومعروف، لا ينال حظه من الأمن فيه إلا من ارتحل إليه، وليس من الممكن أن يرتحل إليه جميع سكان المعمورة في وقت واحد، ولهذا جُعِلت الأشهر الحرم ملجأً وأمناً عاماً، يعمّ على الناس وهم في أقطارهم، ويدخلون في هدنة الرحيم الرحمن، فإذا أمن الناس واطمأنوا، عملوا بشرائع الكريم المنان⁽⁴⁾.

الحج إذاً وسيلة للسلام، وطريقة لتدريب المسلم على السلام، وروح السلام، فهو رحلة للسلام إلى أرض السلام إلى بلد السلام⁽⁵⁾.

ومن هذا يُدرك، أن جميع العبادات، جاءت؛ لتقرر وترسخ وتحافظ على الأخلاق العظيمة، التي تُعدُّ من قوام الدين، الذي ارتضاه الله سبحانه لعباده.

(1) (متفق عليه)، أخرجه: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الإذخر والحشيش في القبر، (ج: 2/ص: 92)، ح(1349). وأخرجه: مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، (ج: 1/ص: 370)، ح(521). واللفظ للبخاري.

(2) يُنظر: شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (ص: 119).

(3) يُنظر: المرجع السابق.

(4) يُنظر: المرجع السابق.

(5) يُنظر: القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص: 306).

فإن أركان الإسلام تدفع المؤمن إلى عمل الصالحات، وإلى التخلق بالأخلاق الفاضلة؛ لأن الإسلام يعدّ العبادة فيه، مجرد إقامة الشعائر وحسب، ولكنها دافع قوي إلى البر الذي يدفع الإنسان إلى حسن الخُلُق، والقيم الفاضلة النبيلة⁽¹⁾.

ويتبين من دراسة الفصل الأخير، كم كانت العلاقة قائمةً، بين الحج والأخلاق في كثير من الجوانب والنواحي التي لا تحصر، سواء على الفرد المسلم أو المجتمع، وما يرسيه الحج من فضائل وقيم ووحدة واتحاد ومساواة بين المسلمين وغير ذلك، وليس هذا فحسب، بل ونبذ للعصبية والفرقة والاختلاف، فيجعل التآلف بين المسلمين، ويضفي الأمن، وما يقرره من أخلاق وفضائل، وغير ذلك.

وفي ختام هذه الدراسة أحمد الله تعالى الذي أعانني على كتابتها، ووفقني لذلك، وأستغفره جلّ وعلا على ما وقعت فيها من زلل أو خطأ، فالبشر يعتريهم النقص والسهو والخطأ، والكمال لله وحده.

وأسأله تبارك وتعالى أن يوفقنا لكل ما يحبه ويرضاه، ويغفر لنا ذنوبنا ما ظهر منها وما بطن، وأن يصلح لنا أعمالنا في الدنيا والآخرة، اللهم آمين.



⁽¹⁾ يُنظر: إسماعيل، قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، (ص: 57).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، الذي شرح به الصدور وأنار به العقول. وبعد:

فلقد وفقني الله وأعانني على إتمام هذه الدراسة المتواضعة، ولولا توفيق الله ما كتبت حرفاً واحداً فله الحمد والشكر، حتى يرضى.

وفيما يأتي أهم النتائج والتوصيات التي حوتها هذه الدراسة:

النتائج:

1. ثمة علاقة وطيدة بين الأخلاق والعبادات في القرآن الكريم، فجميع العبادات في القرآن الكريم، اعتنت في طياتها بالأخلاق قولاً وفعلاً.
2. وجود تقارب بين تعريفي العبادات والأخلاق، من ناحية التهذيب والتسلُّك بالسلوك الحسن، والاستسلام لله تعالى.
3. للأخلاق مكانة وفضائل عظيمة في الآيات القرآنية والإسلام، ولذلك اشتملت عليها العبادات.
4. في الصلاة مجموعة من الأخلاق، منها: أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتؤدي إلى الطمأنينة والهدوء النفسي والروحي والخضوع الجسدي، وتعلم النفس الصبر، المحافظة على النظام والالتزام، وفي صلاة الجماعة أيضاً فوائد أخلاقية، تعود بالنفع على الفرد والمجتمع.
5. القيام بفريضة الزكاة ضمان اجتماعي في المجتمع المسلم، وتقويم للأخلاق في نفس الفرد والمجتمع، بين الغني والفقير، وفيها تعويد للنفس على البذل والكرم والسخاء، وقمع للشح والبخل وحب المال، وتقضي على الفقر وتمنع المن والأذى، وتقي المجتمع جرائم النهب

والسلب، ونقمة الفقير على الغني، وتزيد المحبة في النفوس وتشرحها، وتبسط في المجتمع مظهر العدل والمساواة.

6. الصيام جاء حائثاً على الأخلاق جملةً وتفصيلاً، ويكمن ذلك في خلق التقوى أولاً، وكبح الشهوات ثانياً، وغير ذلك من تربية النفس وتهذيبها، وما يكسبه على المؤمن من خلق الصبر والحلم والتأدب، والمحبة والرحمة، والرأفة بالفقراء والمساكين، وكذلك ما يعود على المجتمع من قوة واتحاد وتعلم للنظام وللمساواة وغير ذلك.

7. يبرز دور الأخلاق في فريضة الحج على الفرد المسلم والمجتمع، في نواحٍ كثيرة، بدايةً بالتقوى وتزكية النفس، وإظهار خلق التوحيد، وما ينميه في نفسه من خلق الكرم والسخاء، والتحلي بخلق الصبر، وكذلك خلق التواضع والتذلل لله تبارك وتعالى، وإظهار الأخوة الإيمانية، وما في الحج من اجتماع المسلمين وقوتهم، والمساواة فيما بينهم، وما في الحج من أمانٍ للناس، وغير ذلك.

8. في الخطاب القرآني أمور تربية جمّة لها أثر مهم في تقويم السلوك الإنساني.

9. النبي ﷺ مثال للأسوة والقدوة الحسنة، في الأخلاق والتربية بكل أفعاله وأقواله.

وأخيراً بعد كتابة هذه النتائج يوصي الباحث بما يلي:

1. إدخال مثل هذه المواضيع في السياق التعليمي

ومجالات التوعية المختلفة من مسموع أو مقروء، لأهميتها في تركيز الأخلاق.

2. التوصية بالتركيز على الدراسات الإسلامية التي

تعنى بالأخلاق الإسلامية الفاضلة.

هذا ما أعانني الله عليه بتوفيقه، فما كان من سهو أو خطأ أو نقص فمني ومن الشيطان،

والله ورسوله منه براء، فالكمال له جل جلاله، والله الموفق.

والحمد لله ربّ العالمين.

الفهارس

- 1- فهرس الآيات القرآنية.
- 2- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- 3- قائمة المصادر والمراجع.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
42	3	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	البقرة
127	30	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ...﴾	البقرة
64	43	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾	البقرة
71، 64	43	﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾	البقرة
52	45	﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾	البقرة
139	125	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾	البقرة
123	129	﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ...﴾	البقرة
123	151	﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَالسَّالِيلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾	البقرة
103	155	﴿وَلَتَبْلُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾	البقرة
76	177	﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّالِيلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾	البقرة
116، 98	183	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	البقرة
31	185	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	البقرة
106	185	﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	البقرة
113، 97	187	﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾	البقرة
113	188	﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدُلُّوا بِهَا إِلَى﴾	البقرة

		الْحُكَّامُ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٩٦﴾	
120	196	﴿وَأْتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾	البقرة
121	197	﴿الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَّعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾	البقرة
128	198	﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَاقَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الصَّالِينَ﴾	البقرة
138	199	﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	البقرة
128	200	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾	البقرة
128	203	﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾	البقرة
43	222	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	البقرة
39	238	﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾	البقرة
82	262	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	البقرة
81	263	﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾	البقرة
80	264-263	﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	البقرة
77	268	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً..﴾	البقرة

71	271	﴿إِنْ تَبُدُّوا الصَّدَقَاتِ فَعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤَثِّمُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾	البقرة
79	14	﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾	آل عمران
80	31	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	آل عمران
139	97	﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾	آل عمران
136، 112	103	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	آل عمران
136	103	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾	آل عمران
136	105	﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	آل عمران
23	134-133	﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	آل عمران
109	134	﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	آل عمران
30، 24	159	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾	آل عمران
123	164	﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾	آل عمران
31	28	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾	النساء
26، 22	36	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾	النساء
26	36	﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْحَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْحَارِ وَالْحَارِ﴾	النساء

		الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ... ﴿﴾	
41	43	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾	النساء
46	103	﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾	النساء
22	107	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾	النساء
56	116	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	النساء
49	142	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	النساء
133، 108	2	﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾	المائدة
139	2	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾	المائدة
129	3	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾	المائدة
86	33	﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	المائدة
85	38	﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	المائدة
59	58	﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُورًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾	المائدة
42	91	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ...﴾	المائدة
140	95	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾	المائدة

124	94	﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾	الأنعام
76	125	﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾	الأنعام
85	151	﴿لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	الأنعام
25	152	﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْبُدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	الأنعام
127	161	﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	الأنعام
55	163-162	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾	الأنعام
62 ، 48	29	﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	الأعراف
48	31	﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾	الأعراف
44	170	﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾	الأعراف
44	1	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	الأنفال
47	3-2	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	الأنفال
25	27	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ...﴾	الأنفال
135	46	﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	الأنفال
62	18	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾	التوبة

79	24	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ...﴾	التوبة
129	28	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾	التوبة
135	32	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	التوبة
88	35-34	﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ... كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾	التوبة
139	36	﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾	التوبة
60	54	﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾	التوبة
94	60	﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	التوبة
109، 39	71	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	التوبة
،72 /،71 89، 73	103	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾	التوبة
114، 26	119	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	التوبة
33	61	﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾	يونس
105	11	﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾	هود
21	92	﴿قَالَ لَا تَحْزَبْ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	يوسف

43	22	﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾	الرد
59	22	﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِعَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾	الرد
47	28	﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	الرد
106، 77	7	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	إبراهيم
29	9	﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	الحجر
109، 25	90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾	النحل
24	125	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	النحل
52	11	﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾	الإسراء
32	15	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	الإسراء
83	26	﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾	الإسراء
92	26-27	﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾	الإسراء
92	29	﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسِطِ فَتَقْعُدَ ...﴾	الإسراء
96	26	﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾	مريم
96	26	﴿فَلَنَ أَكَلِمَ الْيَوْمِ أَنسِيًّا﴾	مريم
48	59	﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾	مريم
33	7	﴿وَإِن تَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ﴾	طه
56، 47	14	﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾	طه

24	44	﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى﴾	طه
52	132	﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾	طه
52	37	﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾	الأنبياء
131	27	﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾	الحج
129	28	﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾	الحج
122	32	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾	الحج
42	35	﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	الحج
59	35	﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	الحج
129	36	﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَنَاعَ وَالْمُعْتَرَ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	الحج
130	37	﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ وَاللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾	الحج
48	77	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَابِدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	الحج
18	9-1	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾...﴾	المؤمنون
39	2-1	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾	المؤمنون
78، 18	4	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾	المؤمنون
24، 18	8	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	المؤمنون

22	19	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	النور
92	22	﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	النور
109	31	﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	النور
59	38-37	﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَزَيَدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	النور
25	63	﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾	الفرقان
92، 31	67	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾	الفرقان
25	72	﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾	الفرقان
44	89	﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	الشعراء
24	215	﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾	الشعراء
84	77	﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾	القصص
37، 21، 47	45	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾	العنكبوت
33	30	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الروم
83	38	﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	الروم
57	18	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	لقمان
26	19-18	﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ	لقمان

		اللَّهِ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾	
42	16	﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	السجدة
78	39	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	سبأ
104، 54	10	﴿إِنَّمَا يُوقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	الزمر
57	60	﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾	غافر
23	34	﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ﴾	فصلت
32	46	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾	فصلت
42	38	﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا...﴾	الشورى
109	40	﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾	الشورى
104	43	﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	الشورى
62، 57	29	﴿فَحَمِّدْ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ...﴾	الفتح
25	12-10	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ... إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾	الحجرات
44	10	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	الحجرات
133، 67	10	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	الحجرات
115، 66، 137	13	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	الحجرات
67	13	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾	الحجرات

85 ، 75	19	﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾	الذاريات
55	56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات
32	21	﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾	الطور
84	60	﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾	الرحمن
87	7	﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾	الحشر
87	8	﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾	الحشر
76 ، 73	9	﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	الحشر
76	9	﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا...﴾	الحشر
24	3-2	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ...﴾	الصف
64	9	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	الجمعة
30	7	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾	الطلاق
51	22-19	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾	المعارج
56	19	﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾	الجن
43	31	﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾	القيامة
111	15-14	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾	الأعلى
79 ، 73	20	﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾	الفجر
75	10-9	﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَفْهَرُ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ﴾	الضحى
56	5	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾	البينة
133	3	﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾	العصر
129	2	﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾	الكوثر

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	طرف الحديث الشريف
23	"اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ"
87	"اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ... "
46	"أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ حَمْسًا... "
53	"ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ... "
125	"اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفَّنُوهُ فِي ثَوْبَيْنِ، وَلَا تَحْنَطُوهُ... "
34	"أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَّحَتْ صَلَّحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ... "
101	"إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ"
27	"إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ"
28	"إِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا"
27	"إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا"
68	"إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"
38	"إِنَّهُ سَيِّئُهَا مَا تَقُولُ"
130	"أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «الْعَجُّ وَالنَّجُّ»"
61	"أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا»..."
74	"إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمْرَهُمْ... "
80	"تَعَسَّ عَبْدُ الدَّبْيَارِ، وَالدَّرْهَمُ...، إِنَّ أُعْطِيَ رِضِي... "
26	"تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ..."
57	"رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَدِرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ"
100	"رَبِّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرَبِّ قَائِمٍ... "
63	"صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ تَفْضُلُ صَلَاةِ الْفَدَى بِسَبْعِ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً"
65	"فَأَمَّا الْخَيْضُ فَيَعْتَرِلُنَّ الصَّلَاةَ، وَيَشْهَدُنَّ الْخَيْرَ، وَدَعْوَةٌ... "
111	"فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ... "
43	"لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهُورٍ... "
49	"لَيْسَ صَلَاةٌ أَنْتَقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ"
27	"مَا مِنْ شَيْءٍ يُوَضَّعُ فِي الْمِيزَانِ أَنْتَقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ... "
78	"مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ..."

67	"مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا، وَصَلَّى صَلَاتَنَا... "
108	"مَنْ فَطَرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ... "
100، 99	"مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي... "
113	"هَلْ تَنْصَرُونَ وَتُزْرَفُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ"
121	"وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ"
28	"وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجَوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي.. "
103، 53	"وَمَنْ يَنْصَبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا... "
137	"يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رِبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ... "
101، 100	"يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ... "
47	"يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ... "
98	"يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ، يَدَعُ... "

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الأحمّد نكري، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول (ت: قبل القرن 12 للهجرة)، دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحّص، دار الكتب العلمية - لبنان، بيروت، (ط 1)، 1421هـ-2000م، 4 مج.
- أحمّد، أبو عبد الله أحمّد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمّد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، (ط 1)، 1421هـ-2001م، 45 مج.
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمّد، (ت: 370هـ)، تهذيب اللغة. تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط 1)، 2001م، 8 مج.
- إسماعيل، أحمّد، مقال بعنوان: قواعد الإسلام وأثرها في تكوين الأخلاق، مجلة هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الدينية، مجلد: 45، العدد: السابع والثامن، غير محكم. 2001م، مقال من تسع صفحات، من (49-57). دار المنظومة.
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (المتوفى: 1420هـ)، صحيح الجامع الصغير وزياداته، المكتب الإسلامي، مجلدان.
- والألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشأذه من محفوظه، مؤلف الكتاب الأصل: ابن حبان البستي، محمد بن حبان بن أحمّد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد

- الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: 739هـ)، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، (ط 1)، 1424هـ-2003م، عدد الأجزاء: 12 (10 أجزاء ومجلدان فهارس).
- إقبال، محمد، **تجديد الفكر الإسلامي في الإسلام**، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الكتاب المصري واللبناني، القاهرة، وبيروت، 2011م.
- بابكر، الدكتور الحاج صلاح، بحث بعنوان: **دور الشريعة ومقاصدها في بناء الأخلاق**، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، مجمع الفقه الإسلامي، جامعة الطائف، (العدد 7)، محكمة، 2012م، بحث من ستين صفحة، من (59-117). دار المنظومة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (ت: 256هـ) **صحيح البخاري**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، (ط 1)، 9 مج. 1422هـ.
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، **صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، (ط 4)، 1418هـ-1997م.
- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، **التعريفات الفقهية**، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ-1986م)، (ط 1)، 1424هـ-2003م.
- ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (ت: 1420هـ)، **مجموع فتاوى**، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، 30 جزءاً.
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت: 510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن =تفسير البغوي**، تحقيق: محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، (ط 4)، 1417هـ-1997م، 8 مج.

- البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس الحنبلي، (ت: 1051هـ)، **كشاف القناع عن متن الإقناع**، دار الكتب العلمية، 6 مج.
- البيانوني، محمد أبو الفتح، **العبادة دراسة منهجية شاملة في ضوء الكتاب والسنة**، دار السلام، القاهرة، وحلب، وبيروت، (ط 1)، 1404هـ-1984م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى، (ت: 279هـ)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ج1، 2)، وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، (ط 2)، 1395هـ-1975م، 5 مج.
- التميمي، ياسين عبد الصمد كريدي، **أثر الصلاة في تشكيل الفكر التربوي**، كلية شط العرب الجامعة، قسم القانون، **مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية)**، المجلد: 34، العدد: 1، 2009م.
- التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، **مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة**، دار أصدقاء المجتمع، المملكة العربية السعودية، (ط 11)، 1431هـ-2010م.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحنبلي الدمشقي، (ت: 728هـ)، **العبودية**، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، (ط 1)، 1426هـ-2005م.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحنبلي الدمشقي، (ت: 728هـ)، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ-1995م، 35 مج.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ)، **كتاب التعريفات**، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، (ط4)، 1407هـ-1987م، 6مج.
- الحجاوي الحنبلي، موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا، (ت: 968هـ)، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة بيروت - لبنان، 4مج.
- ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، 13مج.
- ابن حميد، صالح بن حميد عبد الله إمام وخطيب الحرم المكي، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -، عدد من المختصين بإشراف: صالح بن حميد عبد الله إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، (ط 4)، 12مج.
- حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، دار السلام، القاهرة، مصر، (ط 10)، 1424هـ-2004م.
- حوى، معاذ سعيد، مقال بعنوان: من محاور رسالة عمان الأخلاقية في تشريعات الإسلام، مجلة هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الدينية، مجلد: 52، العدد: الأول، غير محكم. 2008م، كانون ثاني/محرم، مقال من سبع صفحات، من (72-78). دار المنظومة.

- الخراز، خالد بن جمعة بن عثمان، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، (ط 1)، 1430هـ-2009م.
- الخن، مصطفى؛ البغا، مصطفى؛ الشرجي؛ علي، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، (ط 4)، 1413هـ-1992م.
- خير، إبتهاج محمد خير محمد، أثر الصلاة في تربية وسلوك المسلم، إشراف الدكتور: حسين محمد الحسن، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، رسالة ماجستير، 2007م.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، (ت: 275هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، 4 مج.
- دحلان، آيات حسنة حسين، أخلاق الأنبياء والصالحين في القرآن الكريم -دراسة موضوعية، إشراف: عبد الرحم يوسف الجمل، الجامعة الإسلامية، شؤون البحث العلمي والدراسات العليا، قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، غزة، رسالة ماجستير. 2015م-1436هـ.
- الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور الشاه ولي الله الدهلوي، (ت: 1176هـ)، حجة الله البالغة، تحقيق: السيد سابق، دار الجيل، بيروت - لبنان، (ط 1)، 1426هـ-2005م، مجلدان.
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين، (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب =التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي -بيروت، (ط3)، 1420هـ، 22 مج.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بالراغب الأصفهاني، (ت: 502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم والدار الشامية، دمشق وبيروت، (ط1)، 1412هـ.

- ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَّلَامِي، البغدادي، ثم
الدمشقي، الحنبلي، (ت: 795هـ)، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، دار
ابن حزم للطباعة والنشر، (ط1)، 1424هـ-2004م.
- رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا
علي خليفة القلموني الحسيني، (ت: 1354هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،
الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، 12 مج.
- الرومي، خالد عبد الله، القيم الخلقية في المنظور السلفي، إشراف الدكتور: مفرح بن
سليمان القوسي، المملكة العربية السعودية، وزارة التعليم العالي، جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، قسم الثقافة الإسلامية، 1433هـ، رسالة
ماجستير. منشور في شبكة الألوكة.
- الزبيدي، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى، (ت:
1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، 40مج.
- الزُّحَيْلِيُّ، وَهْبَةُ بن مصطفى، الفِهُةُ الإِسْلَامِيَّةُ وَأَدَلَّتُهُ، دار الفكر، دمشق، سورِيَّة، (ط4)،
10 مج.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، (ت: 538هـ)، الكشاف عن
حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي-بيروت، (ط 3)، 1407هـ، 4مج، الكتاب
مذيل بحاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري، (ت: 683)،
وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي].
- زمزمي، يحيى بن محمد حسن، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم،
بحث منشور على الإنترنت، دون دار نشر، 1424هـ.

- السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، (المتوفى: 1376هـ)، إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، اعتنى به ونسقه وعلق عليه: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، (ط 1)، 1420هـ-2000م.
- السمرقندي، أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي، (ت: 375هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت، 3 مج.
- شلتوت، محمد، الإسلام عقيدة وشريعة، الشروق، القاهرة، (ط 18)، 1421هـ-2001م.
- الشهري، على عبد الله سعيد، منهاج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الأسرية، إشراف الدكتور: عبد المجيد محمد عبد المجيد، السعودية، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، الدراسات العليا، فرع الكتاب والسنة، رسالة دكتوراه. 1407هـ-1987م.
- ابن ضويان، إبراهيم بن محمد بن سالم، (ت: 1353هـ)، منار السبيل في شرح الدليل، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، (ط 7)، 2مج. 1409هـ-1989م.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، (ط 1)، 1420هـ-2000م، 24 مج.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984هـ، 30مج.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، (ت: 463هـ)، الإجماع لابن عبد البر، جمع وترتيب: فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب وعبد الوهاب بن ظافر الشهري، دار القاسم للنشر.

- عبد الله بن محمد الطيّار، وعبد الله بن محمد المطلق، ومحمد بن إبراهيم الموسى، الفقه الميسر، الناشر: مدار الوطن للنشر، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: ج7-11-13: الأولى 1432 / 2011، باقي الأجزاء: الثانية، 1433هـ-2012م، 13 مج.
- عبد المتجلي، ومحمد رجاء حنفي، الصيام تهذيب للخلق وتقويم للسلوك، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الدينية، مجلد: 25، العدد: 297، غير محكم. 1989م، إبريل - رمضان. دار المنظومة.
- ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد، (ت: 1421هـ)، الشرح الممتع على زاد المستقنع، دار ابن الجوزي، (ط 1)، 1422-1428هـ، 15مج.
- العزاوي، مصطفى، ثقافة الحاج عبادة وأخلاق، فن وانضباط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط 1)، 1427هـ-2006م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، (ت: 505هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة - بيروت، 4مج.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت: 395هـ)، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، 6 مج.
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، أبو الحسين الرازي، (ت: 395هـ)، حلية الفقهاء، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الشركة المتحدة للتوزيع - بيروت، (ط 1)، 1403هـ-1983م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (ط 8)، 1426هـ-2005م.

- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، وفضائل، ومنافع، وفوائد، وشروط، وأركان، وواجبات، وآداب، ومسائل، وحكم، وأحكام، مركز الدعوة والإرشاد، القصب، (ط 2)، 1431هـ-2010م.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، ومنزلة، وحكم، وفوائد، وأحكام، وشروط، ومسائل، مركز الدعوة والإرشاد بالقصب، (ط3)، 1431هـ-2010م.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، الصيام في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة - مفهوم، وفضائل، وفوائد، وخصائص، وشروط، وأركان، ومسائل، وآداب، وحكم، وأحكام، مركز الدعوة والإرشاد بالقصب، (ط 2)، 1431هـ-2010م، مجلد واحد.
- ابن قدامة المقدسي، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، (ت: 620هـ)، **المغني**، مكتبة القاهرة، 10 مج، 1388هـ-1968م.
- القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي، (ت: 684هـ)، **الدخيرة**، المحقق: محمد حجي، سعيد أعراب، محمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، (ط1)، 14مج. 1994م.
- القرضاوي، يوسف، **العبادة في الإسلام**، مكتبة وهبة، القاهرة، (ط 24)، 1476هـ-1995م.
- القرضاوي، يوسف، **تيسير الفقه في ضوء القرآن والسنة (فقه الصيام)**، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط 3)، 1414هـ-1993م.
- القرضاوي، يوسف، **فقه الزكاة**، مؤسسة الرسالة، (ط 2)، 1393هـ-1973م، مجلدان.

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، (ت: 671هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط 2)، 1384هـ-1964م، 20 جزءاً (في 10 مجلدات).
- قرعوش، كايد، وآخرون، **الأخلاق في الإسلام**، (ط 2)، 1422هـ-2001م.
- قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، (ت: 1385هـ)، **في ظلال القرآن**، دار الشروق -بيروت -القاهرة، (ط 7)، 1412هـ، 6مج.
- قطب، سيد، **خصائص التصور الإسلامي ومقوماته**، دار الشروق، القاهرة -بيروت.
- قطب، محمد، **التطور والثبات في حياة البشر**، دار الشروق، (ط 4)، 1400هـ-1980م.
- قطب، محمد، **دراسات قرآنية**، دار الشروق، بيروت -القاهرة، (ط 3)، 1402هـ-1982م.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت -مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، (ط 27)، 5مج. 1415هـ-1994م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية، (ت: 751هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي -بيروت، (ط 3)، 1416هـ-1996م، مجلدان.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، **القصيدة النونية**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (ط 2)، 1417هـ.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، **الفوائد**، دار الكتب العلمية - بيروت، (ط 2)، 1393هـ-1973م.

- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، إغاثة
اللّهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض،
المملكة العربية السعودية، 2 مج.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ت: 751هـ)، عدة
الصابرين وذخيرة الشاكرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث، المدينة
المنورة، المملكة العربية السعودية، (ط 3)، 1409هـ-1989م.
- الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي، (ت: 587هـ)، بدائع
الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، (ط 2)، 7 مج. 1406هـ-1986م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت:
774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر
والتوزيع، (ط 2)، 1420هـ-1999م، 8 مج.
- الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، (ت: 1094هـ)، الكليات معجم في
المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش -محمد المصري، مؤسسة الرسالة،
بيروت.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، (ت: 273هـ)،
سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى
البابي الحلبي، مجلدان.
- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، (ت: 1353هـ)، تحفة الأحوذى
بشرح جامع الترمذى، دار الكتب العلمية - بيروت، 10 مج.
- محمد رواس قلجى، وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة
والنشر والتوزيع، (ط 2)، 1408هـ-1988م.

- مختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (ت: 1424هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، (ط 1)، 1429هـ-2008م، 4مج.
- مراد، مصطفى، خلق المؤمن، دار الفجر للتراث - القاهرة، (ط 1)، 1426هـ-2005م.
- مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 5مج.
- ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مكرم بن علي، (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ط 3)، 1414هـ، 15 مج.
- موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ: علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، 3 مج.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءاً، (من 1404-1427هـ)، الأجزاء: 1-23، (ط 2)، دار السلاسل - الكويت، والأجزاء: 24-38، (ط 1)، مطابع دار الصفاة - مصر، والأجزاء: 39-45، (ط 2)، طبع الوزارة.
- موسى، أشرف فؤاد، قالوا في الصيام: الجانب التربوي في الصيام، مجلة الوعي الإسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الدينية، مجلد: 26، العدد: 309. غير محكم. 1990م، إبريل-رمضان. مقال من ثلاث صفحات، من (99-101). دار المنظومة.
- الناصر، محمد، مقال بعنوان: الارتباط الوثيق بين العبادة والأخلاق، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، العدد: 46، غير محكم، 1991م، جمادي الآخرة - ديسمبر، مقال من ثلاث صفحات، من (40-44). دار المنظومة.

- النسفي، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين، (ت: 537هـ)،
طلبة الطلبة، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، 1311هـ.
- نصيف، فاطمة عمر، أخلاقنا في الميزان، دار الحميدي، جدة، السعودية، (ط1)،
1422هـ-2001م.
- أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران، (ت: نحو
395هـ)، معجم الفروق اللغوية، تحقيق: بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي،
مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، (ط1)، 1412هـ.
- الهلالي، سليم، مكارم الأخلاق في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، دار
ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية. (ط1)، 1408هـ-1988م.
- الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي،
(ت: 468هـ)، التفسير البسيط، تحقيق: أصل تحقيقه في رسالة دكتوراه بجامعة الإمام
محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي
-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. (ط1)، 1430هـ، عدد الأجزاء: 25 (24 وجزء
للفهارس).
- يالجن، مقداد محمد علي، علم الأخلاق الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر
-الرياض، (ط 1)، 1413هـ-1992م، (ط 2)، 1424هـ-2003م، مجلد واحد.

An-Najah National University
Faculty of Graduated Studies

The Relationship Between Worships And Ethics In Holly Quran

By

Imad Hani Abed Al-Kareem Qozah

Supervised by

Dr. Muhsen Sameeh Al-Khaldi

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements
for the Degree of Master of fundamentals Of Islamic Law (Usol Al-
Din), Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University,
Nablus, Palestine**

2020

The Relationship Between Worships And Ethics In Holly Quran
By
Imad Hani Abed Al-Kareem Qozah
Supervised by
Dr. Muhsen Sameeh Al-Khaldi

Abstract

This thesis examined the relation between Ibadah (worship) and morals in the Holy Quran for its magnificent importance due to its impact on the believer's practices in his or her daily life. The importance of the relation between the two resorts to the fact that morals, on one hand, play a great role that affects the individual and society and Ibadah, on the other, substantially seeks and urges for morals.

The researcher adopted some research methods including the inductive, analytical, deductive and descriptive approaches. The thesis was divided into five chapters in addition to the introduction and bibliography.

This study aimed at defining and elaborating the meanings of Ibadah and Ahlak (morals) linguistically and terminologically; illustrating their significance and their virtues as mentioned in the Quran and Sunnah; and, particularly, exploring the effects of Ibadah including the Salat (prayer), Fasting, Zakat and Haj (pilgrimage) on morals.

The relation between Ibadah and Ahlak was examined and the effects of the abovementioned four kinds of Ibadah were elaborated, demonstrating their positive impacts on the individual and society. For example, it illustrated how fasting purifies the soul and how Zakat contributes to lift the burden on the poor.

Moreover, the study tackled the issue of Zakatulfitir (the zakat paid to the poor in the month of Ramadan) and clarified its importance and relation to morals.

Furthermore, it stated how Haj benefits Muslims especially that it strengthens the concepts of unity and equality of all human beings regardless of their colors, races or social statuses. The results of the study showed a strong relation between Ibadah and morals in the holy Quran and presented that all kinds of Ibadah were greatly concerned with the morals of the individuals which are thereby reflected on society.